محمد علي مشعل

المذكرات الشخصية

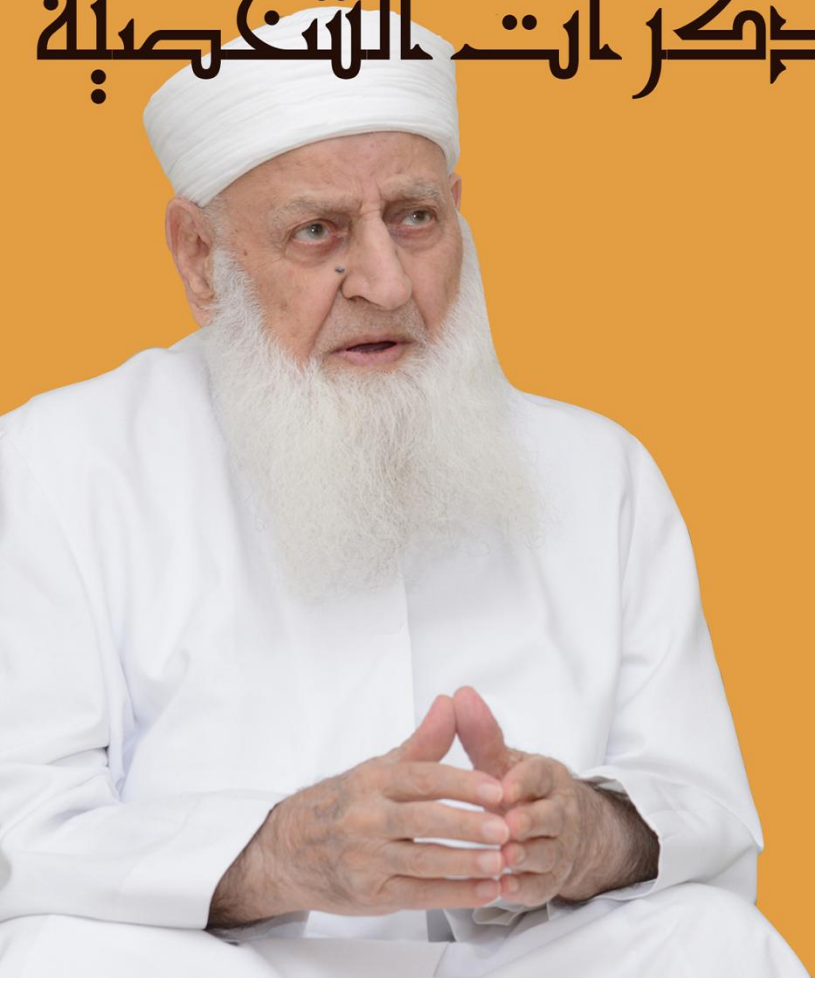

مذكرات شخصية
ونبذة عن علماء حمص

بقلم الشيخ محمد علي مشعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ومعها ترجمة خاصة كتبها عن عَلَمي حمص:

أستاذه الشيخ مصطفىٰ السباعي

وأخيه الشيخ عبد العزيز عيون السود

رحمهما الله تعالىٰ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولىٰ

١٤٤٦ هـ/ ٢٠٢٤ م

الناشر

موقع الشيخ محمد علي مشعل

www.mashal.ws

المذكرات الشخصية

الشيخ محمد علي مشعل

رحمه الله

(١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) - (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م)

العنوان	الصفحة

كلمة الناشر ١٢

المذكرات الشخصية للشيخ محمد علي مشعل ١٤

[المولد والعائلة] ١٥

[شيخ الوالد] ١٨

[الأولاد] ٢٠

[النشأة العلمية] ٢٠

[دار العلوم الشرعية] ٢١

[حلق العلم في حمص] ٢٣

[مقاومة الفرنسيين] ٢٤

[زملاء السكن ودار العلوم] ٢٥

[التفرغ العلمي] ٢٦

رحلة الحج عام ١٩٤٥م ٢٦

افتتاح كتاتيب ٣٠

[تطوير التعليم الابتدائي والمتوسط] ٣٠

ثانوية علي بن أبي طالب ٣١

ثانوية عمر بن الخطاب ٣٧

الالتحاق بكلية الشريعة ٣٨

تنصيب سلمان فيسي ربًا للنصيريين ٤٠

تنصيب آغا خان ربًا للإسماعيليين ٤١

بدء الدعوة الإسلامية في قرية شين ٤٢

الدعوة في قرية السنكري ٤٧
معركة بين المرشِدِية والسنية ٤٨
[تسلسل الحكم بعد الفرنسيين] ٥٢
أولاً: الانقلاب الأول: ٥٣
ثانيـًا: الانقلاب الثاني: ٥٣
ثالثـًا: الانقلاب الثالث: ٥٣
رابعـًا: الانقلاب الرابع: ٥٥
خامسـًا: الوحدة: ٥٨
وقد صدرت في أيام الوحدة قرارات هدامة، منها: ٦٢
خديعة جمال عبد الناصر للعلماء: ٦٣
سادسـًا: الانفصال: ٧٠
المجلس النيابي: ٧١
مواقف في المجلس النيابي ٧٣
[الاعتناء بالنصيريين] ٧٧
سابعا: الانقلاب السابع: ٧٧
أحداث في زمن البعث: ٨٠
الاستيلاء علىٰ ثانوية علي بن أبي طالب الخاصة: ٨٣
عودة إلىٰ الحوادث زمن البعث ٨٦
وظهرت مشكلة كوهين وخلاصتها ٨٧
خلاصة عن نبي الصابونية: ٨٧
كتائب محمد صلىٰ الله عليه وسلم: ٩٢

ثامنا: الحكم الطائفي: ٩٣
من الناحية الداخلية: ٩٤
ومن الناحية الاجتماعية: ٩٤
زيارة الكويت والعراق والسعودية ولقاء الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٩٤
زيارة مسجد سَيِّدَنا موسىٰ الكاظم: ٩٥
وهنا ينبغي أن نقف وقفة مع الدعاة: ٩٧
الدستور والاعتقال: ٩٨
[موقف العلماء] ٩٨
[الاعتقال] ١٠١
[البيان المزور] ١٠٢
عودة إلىٰ موضوع السجن: ١٠٥
تعذيب لا يطاق: ١٠٧
الخروج إلىٰ المملكة العربية السعودية: ١١١
جماعة الإخوان ١١٤
موقف الجماعة من حوادث سورية: ١١٨
نظرة سريعة إلىٰ الأحداث في زمن البعث: ١٢٣
وبدأت الاغتيالات: ١٢٤
قتل السجناء: ١٢٤
وأخطرها حادثة الأزبكية: ١٢٥
التفاوض مع السلطة: ١٢٧
ملخص النتائج: ١٢٧

نبذة عن علماء حمص الذين عاصرتهم ١٢٩
المفتي الشيخ طاهر الأتاسي ١٣٠
الشيخ عبد الغفار عيون السود.....١٣١
الشيخ توفيق الأتاسي ١٣١
الشيخ تقي الأتاسي ١٣٢
الشيخ أبو السعود أتاسي ١٣٢
الشيخ زاهد الأتاسي ١٣٣
الشيخ أنيس الكلاليب ١٣٣
الشيخ محمد الياسين عبد السلام.....١٣٤
الشيخ أحمد صافي ١٣٥
الشيخ أبو النصر خلف ١٣٥
[من أساليب الشيخ سليم خلف] ١٣٧
[فتوح الشيخ أبي النصر خلف].....١٣٩
من تلاميذ الشيخ أبي النصر بحلب ١٤٠
الشيخ محمد بلنكو: ١٤٠
الشيخ محمد النبهاني:.....١٤١
الشيخ عيسىٰ بيانوني: ١٤١
الشيخ عبد الباسط بن الشيخ أبي النصر خلف ١٤٣
وأولاد الشيخ أبي النصر.....١٤٤
الشيخ عبد القادر خوجة.....١٤٦
الشيخ: طاهر الرئيس.....١٤٩

الشيخ محمد علي عيون السود ١٥٠
الشيخ عبد الفتاح المسدي ١٥٤
الشيخ بدر الدين أتاسي ١٥٦
الشيخ محمد طيب أتاسي ١٥٦
الشيخ وصفي المسدي ١٥٧
الشيخ عبد الغفار الدروبي ١٥٧
الشيخ أحمد كعكة ١٥٨
الشيخ عبد الفتاح الدروبي ١٥٩
الشيخ عبد الكريم أتماز السباعي ١٦٠
الشيخ عبد الكريم السباعي ١٦٠
الشيخ رفيق السباعي ١٦٠
الشيخ محمود أتماز السباعي ١٦١
الشيخ فائق أتماز السباعي ١٦١
الشيخ عبد الجليل مراد ١٦١
الشيخ عبد الخالق الحصني ١٦٢
الشيخ محمود جنيد ١٦٢
الشيخ محمد جنيد ١٦٤
الشيخ ممدوح جنيد ١٦٤
الشيخ محمد علي العتر ١٦٥
الشيخ عبد الله الزهري ١٦٥
الشيخ نديم الوفائي ١٦٦

الشيخ جميل مدور ١٦٧
الشيخ حسن شمس الدين ١٦٧
الشيخ محمد علي الدرة ١٦٧
ملاحظة مهمة: [المعهد الشرعي] ١٦٨
الشيخ عبد المعطي شمسي باشا ١٦٨
الشيخ عبد الإله شربك ١٧٠
الشيخ عبد الحكيم بحلاق ١٧٠
الشيخ عبد الكافي الأبرش ١٧١
الشيخ بديوي السباعي ١٧٢
الشيخ عدنان السقا ١٧٢
الشيخ مؤيد شمسي باشا ١٧٤
الشيخ مرعي الضاهر ١٧٥
الحاج محمد غاوي التركماني ١٧٥
خاتمة ١٧٦
الشيخ مصطفىٰ السباعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١٨١
أولاً: ولادته: ١٨٢
ثانيا: نشأته العلمية: ١٨٢
جماعة الإخوان: ١٨٦
[جمع الكلمة] ١٨٨
خميس المشايخ: ١٨٩
[جهاده في فلسطين] ١٩٢

[خروجه إلىٰ لبنان] ١٩٣
ثالثًا: جهاده السياسي: ١٩٥
حل الجماعة: ١٩٨
رابعًا: مؤلفاته: ٢٠١
خامسًا رحلاته إلىٰ الحج: ٢٠٢
الشيخ عبد العزيز عيون السود رَحِمَهُ اللَّهُ **٢٠٤**
نشأته: ٢٠٨
علوم القرآن: ٢١٠
علوم الحديث: ٢١٢
علم التوحيد: ٢١٣
تحفظه في الفتوىٰ: ٢١٣
أخلاقه: ٢١٣

كلمة الناشر

تتناول مذكرات الشيخ محمد علي مشعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ جوانب من حياته الخاصة والعلمية والدعوية، وشهادته علىٰ تاريخ سورية المعاصر، كتبها في التسعينات من القرن العشرين.

وضمّن الشيخ في مذكراته نبذة مختصرة عن أكثر من خمسين عالماً وداعية من حمص فيهم أساتذته وإخوانه مع بعض من سمع عن أخبارهم أو عاصرهم.

وهذا الإصدار الأول في الشهر الثاني بعد تحرير سورية من حكم البعث في ٧ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٤٦ هـ الموافق ٨ ديسمبر ٢٠٢٤م والمؤرخ لانتصار الثورة السورية التي انطلقت في ربيع الثاني ١٤٣٢ هـ الموافق آذار ٢٠١١م.

وقمنا في المذكرات بإضافة بعض العناوين بين معقوفتين. وسبق أن نشرنا في ترجمة الشيخ بقلم حفيده نزار بن عبد الباري مشعل، الملخصات التالية:

- "السيرة العلمية" عن طلب الشيخ للعلم وتعليمه.
- "الجلال والجمال" عن ملامح شخصية الشيخ.
- "المسيرة الدعوية" عن تجربة الشيخ الدعوية.

المذكرات الشخصية
للشيخ محمد علي مشعل

رَحِمَهُ اللَّهُ

(١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) - (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ سَيِّدَنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين، وتابعيهم إلىٰ يوم الدين ومن والاه.

وبعد، فإني أكتب هذه المذكِّرة متأخراً، وأسأل الله سبحانه أن يغفر لي تقصيري، وأسأله سبحانه أن يُسَددني كي أعرض تلك الحقبة من الزمن التي عشتها.

[المولد والعائلة]

ولدتُ في تَلْدَوْ التابعة لمحافظة حمص عام ١٩٢٤م، ووالدي ولد في عام ١٨٦٤م، في تَلْدَوْ أيضـاً، وكان رحمه الله من أوائل من علّم القراءة والكتابة في المنطقة، ومن أوائل من علّم القرآن الكريم، وكان يتنقل في القرىٰ المجاورة، يَخطُبُ الجمعة ويدرس، وعَمِل علىٰ إحياء العلم الشرعي، فقد تتلمذ علىٰ الشيخ سليم خلف رحمه الله وهو من علماء حِمْصَ، وكان خليفةً مرشداً للطريقة النَّقْشَبَنْدِيَّة.

فتلقىٰ والدي في الزاوية العلم الشرعي، وكان عمره ١٧ سنة، وبقي سنتين عند الشيخ سليم، وإجازاته من الشيخ سليم أعلىٰ الإجازات، ولو أن الشيخ أبو النصر لا يتقدم عليه أحد، لأن الشيخ سليم قال: (أولادي

مقدمون علىٰ خلفائي، وخلفائي مقدمون علىٰ خلفاء أولادي). وبلغني أن الشيخ أبا النصر أجيز أخيراً بمثل إجازة والدي.

وكان أحد خلفاء الشيخ سليم في الطريقة النَّقْشَبَنْدِيَّة التي سمعت من خلفائها بأنها لا تخرج عن الشرع، وكل مخالفة شرعية تلغىٰ، وكل أمر يعترض عليه يلغىٰ، فهي التزام للشريعة الإسلامية وتربية للمسلمين تربية عالية علىٰ الإسلام.

والدي اسمه محمد مشعل، وفي السجل المدني: (حاج محمد مشعل). والده: خضر صالح مشعل.

وكان المرجع في الفتوىٰ وتقسيم الميراث، ويتحاكمون إليه، وأكثر القرىٰ يأتون إليه لتقسيم الميراث، ولما جاء عمي الشيخ حسين كان يرجع إليه، ولما أكرمني الله سبحانه بالعلم الشرعي كنت أنا المرجع.

والدي له خمسة أخوة: عبد الرحمن وعبد اللطيف ومصطفىٰ وخالد وحسين. عبد الرحمن وعبد اللطيف أكبر من والدي، ومصطفىٰ وخالد وحسين أصغر من والدي، وترتيبهم في العمر هذا الترتيب.

العائلة كانوا في الأحساء في شبه الجزيرة العربية، وانتقل الجد إلىٰ بلدة تادف في سورية، تابعة لحلب، وكان له ثلاثة أولاد: صالح وبكار وعلي، وكان لكل منهم عائلة. فعائلة بكار بقيت في تادف، وعائلة عليان انتقلت

إلىٰ قرية شرقي حماة اسمها كاسون، وعائلة صالح بقيت في تادف، وانتقل ولد من عائلته إلىٰ تلدو (قرية من قرىٰ الحولة: حولة حمص أربعة قرىٰ: تَلْدَوْ – كَفَرْلاها – تلذهب – طيبة سيدنا خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) وحولها قرىٰ التركمان: (برج قاعي، وطلف، وموسىٰ الحولة، وعقرب). وقريلة جركس (تليل). وقرية أكراد. وقرية الغور (شيعة).

وجدتي أم والدي أيضـًا تَلقَّتْ عن الشيخ سليم رحمه الله، وكانت خليفة للشيخ سليم، واسمها (شعاع أحمد عبارة)، ووالدتي تربت علىٰ العلم والذكر من والدي، وكانت خليفة لوالدي، واسمها (سارة عبد الله بكور)، عبارة أيضـًا. وأحمد عبارة وعبد الله عبارة أخوان، فهما بنتا عم.

فوالدتي بنت عم جدتي وبنت خالتها أيضـًا، وجدتاي: أم شعاع وأم سارة بنتا الشيخ محمد الحوري الرفاعي نسبـًا (من آل البيت السباسبة الرفاعية)، والعالم الوحيد في المنطقة، وتروىٰ عنه الكرامات، والله أعلم.

وكان لي أخ أكبر مني بأربع سنوات تقريبا اسمه عبد الباري درس عند عمي الشيخ حسين ثم نزل إلىٰ حمص فانتسب لمدرسة دار العلوم الشرعية ورفقاؤه أكبر منه. ولما تخرج منا انتسب إلىٰ الخسروية في حلب، وتوفي خلال الدراسة.

[شيخ الوالد]

الشيخ سليم خلف رحمه الله له أربعة خلفاء:

١- الشيخ أبو النصر (ابنه)، وهو شيخ شيوخ حمص علىٰ الأكثر، وقلت هذا حتىٰ لا تظن بأن هناك مبالغة، والشيخ أبو النصر خلف رحمه الله له قدم في إحياء العلم الشرعي في حلب وقراها، وفي حماة ولكن بحدود.

٢- والشيخ أحمد تلاوي، وكان إماماً لجامع التلة بحمص، وتوفي رحمه الله دون ابن، وله بنت.

٣- والشيخ حسين الطيباني، وكنيته الخطيب، ومسكنه طيبة الإمام شماليَّ حماة، نشر العلم والذكر في منطقته، وهو من كبار العلماء.

٤- والوالد رحمه الله في منطقته، كان عاملاً علىٰ إحياء العلم الشرعي في المنطقة، وقد وفقه الله سبحانه وتعالىٰ، فكان من تلامذته أئمة القرىٰ.

وكان من أعلمهم وأكبرهم عمي الشيخ حسين، فقد قيل في ذلك الوقت: إنه أكبر عالم في الريف السوري، وقد يكون في هذا بعض المبالغة، وتلاميذ الوالد أصبحوا تلاميذ له في العلم الشرعي. ومنهم:

- الشيخ مرعي الضاهر إمام في موسىٰ الحولة، ثم في طلف، ثم في طيبة سيدي خالد بن الوليد، وفي تلذهب وكفرلاها. وابنه محمد نور الضاهر أصبح إماما في كفرلاها ثم في الطيبة.
- والشيخ محمد غاوي التركماني (برج قاعي)، وابنه نور الدين أصبح إماما في طلف.
- والشيخ إبراهيم الخطيب أصبح إمامـًا في عقرب بعد والده.
- وكذلك الشيخ عبد الرحمن جركسي صار إماما في تليل.
- والشيخ خالد شموطي وهو من الملازمين للحلقات، وقد أصبح إمامـًا في تلدو، والشيخ سعيد شموطي كان مؤذنا محتسبا.
- والشيخ أحمد عبد الله عكش، وأخوه سعيد العكش، وقد عمرا مسجداً وأقاما حلقة علم.

فعمي الشيخ حسين تلقىٰ العلم عن شيوخ حمص، وبخاصة علىٰ الشيخ عبد القادر خوجة والشيخ طاهر الرئيس، وغيرهم كالشيخ فائق السباعي. وهو بدوره قام مساعداً للوالد. وأكثر الأئمة تتلمذوا علىٰ عمي الشيخ حسين مشعل وزاد علمهم وفقههم. وطلاب العلم عن طريق الوالد وعمي الشيخ حسين لا يحصون.

[الأولاد]

وقد رزقني الله سحانه وتعالىٰ أربعة أبناء وخمسة بنات:

- أسامة بن محمد علي مشعل، مدرس في جامعة الملك سعود في الرياض وهو دكتور يحمل شهادة الدكتوراة.
- محمد مصعب بن محمد علي مشعل، موظف.
- أبو النصر بن محمد علي مشعل، موظف في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، انتدب من الإفتاء.
- عبد الباري بن محمد علي مشعل، موظف كبير وله حلقات بالإذاعات وهو يحمل شهادة دكتوراه.
- والبنات خمسة وكلهن لهن أولاد. أكثرهم مثقفون صالحون إن شاء الله.
- والأبناء كلهم دعاة إلىٰ الله، وأولادهم يحملون شهادات عالية، وكلهم في طرق الدعوة إن شاء الله.

[النشأة العلمية]

ولما بلغتُ السنة السادسة من العمر، التحقت بالكُتَّاب عند عمي الشيخ حسين مشعل، وصرت أنتقل معه في القرىٰ التي صار إماماً فيها (البرج – تلذهب).

ثم انتسبت للمدرسة الابتدائية، وكان المعلم أبو بدر البدراني، ثم جاء إلىٰ تَلْدَوْ معلمـًا الأستاذ عبد العليم صافي، ابن الشيخ أحمد صافي من شيوخ مشايخ حمص، وزار تَلْدَوْ في حينها محافظ حمص من قبل الفرنسيين، وقد كلفني الأستاذ عبد العليم وعمري تسع سنوات بإلقاء كلمة أمام المحافظ.

وبعد الدراسة الابتدائية تابعت الدراسة مع عمي الشيخ حسين، فتلقيت عنه الفقه والعقيدة والقرآن والنحو والفرائض، ولما تم لي من العمر إحدىٰ عشرة سنة كلفت من قبل عمي ووالدي بخطبة الجمعة وإلقاء الدروس العامة.

[دار العلوم الشرعية]

وانتسبت إلىٰ مدرسة (دار العلوم الشرعية) بحمص، وقد نقلني الشيخ زاهد الأتاسي مدير دار العلوم الشرعية من الصف الأول إلىٰ الصف الثاني بعد إجراء فحوص شفهية بالنحو والفرائض وأسئلة أخرىٰ، مع أني أصغر الطلاب سنـًا. ورفاقي كلهم أكبر مني سنـًا ومنهم واحد أكبر مني بسنتين اسمه الشيخ نسيب السباعي وكنت أتناوب أنا وإياه الأولىٰ، والفرق علامتان فقط، ولما تخرج عيّن هو مدرسا في نفس المدرسة.

وكان الشيخ وصفي المسدي، والشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ جميل مدور، والشيخ عبد الجليل الشيخ زين، وفوزي عيون

السود، عادوا إلىٰ الصف السادس حيث أنشئ من جديد، وكان أخي عبد الباري في السنة الخامسة، وكان معه أحمد الحاج يونس وإسماعيل فاضل، وكان في السنة الثالثة خالد كالو ومحمد فياض من الرستن.

ويقوم علىٰ مدرسة (دار العلوم الشرعية) كبار شيوخ حمص:

مديرها: الشيخ زاهد أتاسي.

وأساتذتها: الشيخ أنيس كلاليب، والشيخ محمد علي عيون السود، والشيخ محمد ياسين عبد السلام شيخ القراء، وخلفه ابنه الشيخ أبو السعود شيخ قراء حمص قبل الشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ عبد الخالق الحصني، والشيخ أحمد صافي، والشيخ محمود السباعي، وقد دَرَّس فيها أيضـًا الشيخ عبد القادر خوجة، والشيخ طاهر الرئيس، والشيخ عبد الباسط ابن الشيخ أبو النصر، والشيخ مصطفىٰ السباعي بعد انتهاء دراسته في الأزهر.

وتخرج من هذه المدرسة معظم الشيوخ الكبار مثل: الشيخ وصفي المسدي، والشيخ أحمد كعكة، والشيخ حسن شمس الدين، والشيخ جميل مدور، والشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ عبد الباسط أبو النصر، والشيخ مصطفىٰ السباعي.

[حلق العلم في حمص]

وكانت هناك حلقات علم في حمص، الحلقة الكبرىٰ للمذهب الشافعي عند الشيخ طاهر الرئيس في الجامع الكبير في الغرفة المخصصة لذلك، والحلقة الكبرىٰ للمذهب الحنفي عند الشيخ عبد القادر خوجة في الجامع البازرباشي:

١-حلقة الشيخ عبد القادر خوجة يحضر فيها علماء الحنفية وطلاب علم يدرسون الفقه الحنفي بعد الفجر، الكتاب: (رد المحتار)، وقد ذكر الثقات بأن حاشية رد المحتار قرئت في الحلقة خمس مرات من أولها لآخرها، وكان يُدرِّسُ شروح البخاري، (فتح الباري)، (عمدة القاري) للإمام العيني، (القسطلاني).

وقد أراد البعض أن ينتقلوا إلىٰ علم آخر، وقد ذكر أن أحد الحاضرين رأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم في المنام وقال له: (أقرئ الشيخ عبد القادر مني السلام والشكر علىٰ الاعتناء بكلامي) فعادوا رأسًا لدراسة الحديث، وكانت هناك حلقات في جامع بازرباشي.

٢-حلقة الشيخ طاهر الرئيس، يحضر فيها علماء الشافعية، وطلاب العلم يدرسون الفقه الشافعي أيضًا بعد الفجر، وكانوا يقرءون (البجيرمي علىٰ الخطيب)، وقرءوا (فتح المعين)، وقرءوا (الجمل علىٰ شرح المنهج) للقاضي زكريا الأنصاري، أو (البجيرمي علىٰ المنهج)،

وكانوا يدرسون شرح البخاري، مثل حلقة الشيخ عبد القادر خوجة، وكان التدريس بالغرفة (غرفة الشيخ طاهر) في الجامع الكبير.

٣-وكان هناك حلقة للشيخ طاهر بين المغرب والعشاء، وبعد العشاء في جامع (عبد الله بن مسعود) قريب من بيت الشيخ طاهر، وقد دَرَّسَنا الشيخ طاهر فيها عدة كتب نحو: الظهار – الكافي – الشذور (الله أعلم) – فضلاً عن ابن عقيل – وقسماً من مغني اللبيب، وكان الشيخ يحفظنا الدرس، وكل يوم يراجع من أول الكتاب.

[مقاومة الفرنسيين]

إضراب ومظاهرة ضد الفرنسيين:

وفي عام ١٩٣٦م جرىٰ إضراب كبير دام (٦٠) يوماً لإخراج الفرنسيين من البلد، فكنا ندرس مع عدد من العلماء في جامع عبد الله بن مسعود، وكان الإضراب الشامل أياماً وتكرر، وكنت أرىٰ الطلاب يضربون بالحجارة شرطة الأمن، والأخبار: أن العلماء كانوا يقومون بقيادة التحرك ضد الفرنسيين، وسمعت بأن السلاح كان يوزع في المساجد، وأن العلماء

خَشُوا من خيانة الدروز، فأتوا بهم إلىٰ الغوطة، وذهب عدد من المسلمين إلىٰ جبل الدروز.

وقد كانت القيادة للشيخ حسن حبنكة والسيد مكي وأمثالهما في دمشق، وفي حمص قام الدكتور مصطفىٰ السباعي والحاج كامل رجوب وأمثالهما، وفي حلب الشيخ معروف الدواليبي والشيخ مصطفىٰ الزرقا ومعهما العلماء.

وبعد خروج الفرنسيين واستلام الوطنيين إذا بمؤلفات تقول: إن قيادة الثورة ضد الفرنسيين بيد سلطان الأطرش كذبـًا وزوراً (إنا لله وإنا إليه راجعون)، وهو باطني درزي.

[زملاء السكن ودار العلوم]

وكان من زملائي في الغرفة: الشيخ فيصل طريهْ، وأخي عبد الباري، ولما انتهىٰ أخي من الدراسة في حمص انتقل إلىٰ المدرسة الخُسْرَوِيَّة بحلب، وبقيت أنا مع الشيخ فيصل، ثم انتقلت إلىٰ بيت الشيخ محمد علي العتر، زميل ورفيق الشيخ مصطفىٰ السباعي، وبقيت عنده حتىٰ تخرجت من المدرسة.

ملحوظة:

عندما انتسبت لدار العلوم الشرعية كان العدد كبيراً يزيد علىٰ الأربعين في الفصل، وما زالوا يتبخرون حتىٰ أصبح العدد ستة فقط: محمد علي

مشعل، نسيب السباعي، سيف الدين دياب، إبراهيم المدني، محمد فيصل طريهْ، الحاج كامل رجوب.

[التفرغ العلمي]

وبقيتُ بعد التخرج ١٩٤٠م متفرغـًا للحلقات العلمية حتىٰ عام ١٩٥٠م، وكنت أقوم بحلقات: في الفقه الشافعي، وفي شرح مجلة الأحكام العدلية للشيخ خالد الأتاسي وابنه الشيخ طاهر الأتاسي، وفي النحو (شرح الألفية لابن عقيل) والبلاغة، وفي مطالعة الكتب وبخاصة كتب الإمام النووي رحمه الله.

رحلة الحج عام ١٩٤٥م

ذهبت مع والدتي إلىٰ الحج، ونزلنا علىٰ المطوف عبد الله كامل، ركبنا في القطار من محطة الحجاز بدمشق، ومررنا بحيفا وكانت فلسطين لا تزال لنا، غَيّرْنا القطار وتابعنا المسير في القطار حتىٰ جاوزنا فلسطين، ثم سينا، ثم ترعة السويس، حتىٰ وصلنا إلىٰ بور فؤاد، وهناك اجتمعنا ببعض العلماء الذين كانوا يدرسون في الأزهر (الشيخ محمد علي مراد).

ثم ركبنا في الباخرة شِيرالّا (شيرا الله)، وتابعنا المسير في البحر الأحمر، ومررنا ببركة فرعون، وكانت الباخرة تميل فيدوخ من الركاب من هو غير معتاد علىٰ هذا، والباخرة فيها ثلاثة آلاف راكب، وكنت أدرس في جهة، والشيخ أحمد عز الدين البيانوني في جهة، ولم نجتمع في الباخرة

(واجتمعنا في الحرم الشريف حيث كان يجلس والده الشيخ عيسىٰ البيانوني رحمهم الله جميعـًا).

ونزلنا بعيداً عن الساحل في جُدة، حيث لم يكن هناك مرفأ مهيّأ، وركبنا في قارب (شختور) حتىٰ وصلنا إلىٰ الساحل، ونزلنا في المكان المخصص لنا.

جدة:

بلدة صغيرة مبنية بالحجارة والطين المخلوط بالكلس، والسقوف كلها خشب، ليس هناك طريق مزفت ولا معبد، الفسفوس في كل بيت، ليس هناك كَهْرَباء بل سراج من الكاز، والماء ساخن يصعب شربه، ولا يشرب إلا لضرورة، ونمنا ليلة في جدة تذكر، وعانينا من الحر والرطوبة والماء الساخن (ما شاء الله).

ثم سافرنا إلىٰ مكة علىٰ الجِمال، وركبت أنا ووالدتي علىٰ جمل عليه شقدف، والشقدف عليه من كل جهة سقوف حتىٰ وصلنا البَحْرَة، ونزلنا هناك حيث قطعنا مرحلة، وفي اليوم الثاني تابعنا المسير حتىٰ وصلنا مكة أم القرىٰ، وكانت الفرحة الكبرىٰ، فبين مكة وجدة مرحلتان.

ونزلنا علىٰ المطوف الشيخ عبد الله كامل، وكان يمشي معنا في الطواف أخوه عبد السلام، فهو المطوف الفعلي رحمه الله، ونزل معنا أناس من

سورية: من إدلب ومن حماة ومن حلب، وكانت الدروس في منزله بين المغرب والعشاء، وفي بعض الأوقات مستمرة، وكان المطوف مسروراً ومشجعاً، والإخوة كلهم مسرورون.

شيخٌ بدعةٌ:

تابعنا تحقيق المناسك، وكنا نحضر الدروس في الحرم المكي، الشيخ صالح الفلسطيني، والشيخ حامد الفقيه المصري، وكان يحضر معي في الدرس الشيخ إبراهيم طنجير، إذ هو من حماة، والشيخ حافظ صندوقة (مدرس المسجد الأقصىٰ).

ولم يمتلئ الحرم التركي، بل قريب من النصف، ولم تمتلئ عَرَفة بل قريب من النصف أيضاً.

المدرس الشيخ صالح الفلسطيني مدرس عظيم، ولكنه شديد، ويعلن تكفير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ما عدا هذه الفئةَ الصالحة في المملكة. وكذلك الشيخ حامد الفقيه، وهو عالم أيضاً، غفر الله لهما.

وفي درس من الدروس تكلم الشيخ صالح عن البدعة، فقام الشيخ حافظ صندوقة وسأل الشيخ ما هي البدعة؟ فقال الشيخ: كل أمر حدث بعد الرسول صلىٰ الله عليه وسلم.

فقال الشيخ حافظ: أنت شيخ بدعة، لأنك لم تكن زمن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فقال الشيخ صالح: كل أمر ديني.

فقال: جمع المصحف، وكتابة المصحف، والمحاريب والمنارات أهذه بدع؟ قال: الشرطة.

قال الشيخ حافظ: ولم الشرطة؟ البدع هي الأمر المحدث الذي يتنافىٰ مع أصول الدين، ولا ينطبق علىٰ أصل من أصول الشريعة.

لقاء الشيخ حسن البنا:

كتب لنا لقاء مع الشيخ حسن البنا، واستمعنا لخطابه العظيم في منىٰ، حيث وقف بعباءته الحمراء وتحدث حديثًا شائقًا، ثم حمّل الحجاج أمانةً وهي القرآن الكريم، يُحَفّظونه أولادهم، ويعملون به في كل مجالات حياتهم.

والتقينا بالسيد عَلَوِي المالكي، واستمعنا لبعض دروسه، وكان محدّثًا عظيمًا رحمه الله تعالىٰ.

والتقيت بأبي صياح وكانت معه محاورة طويلة، وزرناه في بيته، والسيف معلق في صدر البيت.

وبقينا في مكة (٥٥) يومًا، جئت في الباخرة الأولىٰ، ولم أرجع إلا في الباخرة الثالثة، والسبب أنا قطعنا تذكرة للمدينة بالجمال ولم تتيسر،

وقَدَّمت لنا المملكة سيارة بدل الجمال بنفس التذكرة، السيارة (٤٠٠) ريال سعودي، والجمال الراكب (١٧٠) ريالاً سعودياً.

افتتاح كتاتيب

وافتتحتُ مدرسة بالاشتراك مع عمي الشيخ حسين وغيره، تشبه الكتاتيب، يدرس فيها القرآن الكريم، والأربعين النووية، والمطالعة والخط والحساب (الأعمال الأربعة والكسور العادية)، ولكن وجدت بعد حين أن هذا العمل لا يكفي للنهوض بالمنطقة، ووجدت التعليم الابتدائي التابع لوزارة المعارف لم يتقدم، فلذا تقدمت بطلب إلىٰ مديرية المعارف، وعُينت معلماً وكيلاً في قرية (كفرلاها).

[تطوير التعليم الابتدائي والمتوسط]

مدرس في المدرسة الابتدائية

اشتركت في فحص الكفاءة عام ١٩٥٠م وحصلت علىٰ شهادة الدراسة المتوسطة (الكفاءة)، وبما أن قرية كفرلاها أكبر قرىٰ حولة حمص، وهي في بنائها متوسطة بين تَلْدَوْ و تلذهب والطيبة، عملت علىٰ التعاون مع أبناء القرية (زعمائها ووجهائها) فبنيت المدرسة ووسعتها لتكون مفتاحاً لغيرها، ولأول مرة أصبح فيها أربعة معلمين، ثم عملت علىٰ بناء مدرسة تَلْدَوْ وإصلاحها.

ثم انتقلت إلىٰ تَلْدَوْ معلمـًا أصيلاً ومديراً للمدرسة، ولأول مرة أصبح فيها أربعة معلمين ١٩٥١م، ودخل في المدرسة شباب كبار حصلوا علىٰ الشهادة الابتدائية، وتوظفوا بوظائف في الدولة، والتلاميذ الذين درستهم في (الكتاتيب) انضموا للمدرسة وتخرجوا منها.

مدرسة متوسطة

وأسست مدرسة متوسطة أهلية، وكانت تبتدئ من الصف السادس وتنتهي في الصف التاسع، ومع تدريسي وإدارتي للمدرسة الإبتدائية كنت أعمل علىٰ إقامة المدرسة المتوسطة، وكان الطلاب يجتازون بالسنة الواحدة صفين، صفـًا بأيام الدراسة، وصفـًا بالعطلة الصيفية.

ثانوية علي بن أبي طالب

وفي عام ١٩٥٣م نجحت في الثانوية العامة الفرع الأدبي، وحصلت علىٰ رخصة بإنشاء ثانوية علي بن أبي طالب الخاصة في تَلْدَوْ، في الوقت الذي لا تستطيع الدولة أن تنشئها بحسب ضيق الميزانية عن ذلك، (وفي الوقت نفسه أنشئت ثانوية عمر بن الخطاب في حمص للأستاذ محمد طيب خوجة)، واستقلت من الوظيفة، وأصبحت مديراً ومدرسـًا في المدرسة، وأنا صاحب المدرسة.

عقبات أمام الترخيص للمدرسة:

وفي خلال طلبي للترخيص وجدت عقبة عجيبة، وهي أن شخصاً اسمه عبد الودود أتاسي (بعثي) يطلب نفس الترخيص، ويعاضده نواب حزب الشعب ونواب الحزب الوطني، ما عدا هاني السباعي فإنه بقي حيادياً لمصلحة يراها، وكان وقتها مدير المعارف في حمص درويش علواني (بعثي) فعمل له سند إقامة في تَلْدَوْ وهو يَدْرُسُ في فرنسا (بعثة)، وكان وزير المعارف نهاد القاسم.

ومن العجيب أن يلتقي الخط اليميني واليساري ضد الإسلام بآن واحد، وهذا درس عظيم، فإني كنت محبوباً، بدرجة عالية جداً، ولكن المادة أثرت، والمصالح جعلتْ أحبَّ الناس إلي يقوم بدوره، ويمشي مع عبد الودود أتاسي البعثي، وجعلت نواب حزب الشعب ونواب الحزب الوطني يسيرون مع عبد الودود أتاسي البعثي، ما عدا هاني السباعي فإن مصلحته أن يقف علىٰ الحياد لا يمشي في مساعدتهم ولا في مساعدتي، لكن لا يقف ضدي، وهذا موقف بالنسبة لي حسن في ذلك الوقت.

ومن العجيب أيضاً أن المسئول عن التعليم الخاص في حمص يقول لدرويش العلواني: أنصحك أن لا تقف ضد محمد علي مشعل، لأنه لا يستطيع أن يقوم بالمدرسة في تلك المنطقة غيره، ويقول له: أنا شيوعي

(عبد المعين الملوحي) ولكن أبي شيخ عالم (الشيخ سعيد الملوحي إمام الجامع الكبير)، والعرق دساس.

واشتدت المعركة كثيراً، ولعل الحكمة أن تكون المدرسة في صحيفة الدكتور مصطفىٰ السباعي.

فنقلت الموضوع للدكتور مصطفىٰ السباعي، فاتصل بالأستاذ نهاد القاسم وقال: يا أخي، اسمع هذه القصة: عبد الودود أتاسي في فرنسا، ويُعمل له سند إقامة بتَلْدَوْ ليأخذ ترخيص مدرسة باسمه، فاتصل الأستاذ نهاد القاسم وكان حازمًا بمدير التعليم الخاص (عبد المجيد النص) وقال له: يا عبد المجيد أين عبد الودود أتاسي؟ قال: بفرنسا، قال: كيف يزور له سند إقامة بتَلْدَوْ؟ حالاً أعط الرخصة لمحمد علي مشعل.

وهنا جاء النواب لعبد المجيد النص يقولون له: اصبر يومًا واحداً، وإذا بأناس من الوجهاء يساندون الموضوع طمعًا بالمادة، فلما كشف لي الأمر قلت: من أراد أن يكون شريكًا فليأخذ سهمًا، فجعلتها مساهمة حتىٰ ينقطع موضوع المادة، وتم الأمر والحمد لله.

وكان لها أثر كبير في المنطقة من الناحية الإسلامية، وتخرج منها أعداد كبيرة يحملون الفكر الإسلامي.

كما تم إنشاء ثانوية عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حمص باسم محمد طيب خوجة رحمه الله تعالىٰ، وكانت قلعة من قلاع الإسلام في ذلك الوقت.

وقبل ذلك كان إنشاء المعهد العربي الإسلامي في حمص باسم عبد المجيد الطرابلسي رحمه الله تعالىٰ، كان نصراً كبيراً وفتحاً كبيراً، وقَدَّم للدعوة رصيداً عظيماً جداً، ففيه أسست الفتوة وقد انطلقت الدعوة إلىٰ البيوت في المدينة والقرية.

ملخص عن ثانوية علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الخاصة:

سميت بهذا الاسم لغرض من أغراض الدعوة، حيث تَلْدَوْ في منطقة اسمها الحولة: أي حولة حمص، وهي أربعة قرىٰ: تَلْدَوْ – كفرلاها – تلذهب – طيبة خالد بن الوليد، وهي قرىٰ مسلمةٌ سنيةٌ شافعيةٌ.

إلىٰ جانبها من الشرق قرىٰ التركمان (السلاجقة): برج قاعي – طلف – موسىٰ الحولة.

ومن الشمال: عقرب وقرية أكراد.

ومن الجهة الجنوبية: قرية تليل جركس، وأكبر قرية من الشيعة في سورية وهي الغور.

ومن الجهة الغربية ومن الجنوب الغربي قرىٰ نصيرية (سماهم الفرنسيون علويين)، وجبل النصيرية ممتد من الشمال إلىٰ الجنوب إلىٰ طريق حمص طرابلس.

ويوجد شريط يَبْتَدِئُ من الشرق إلىٰ الغرب: تركمان، قلعة الحصن، الزارة، الحكية، الحصرجية، ثم بساتين وبيت أصلان.

وقد جاء الطلاب إلىٰ المدرسة من جميع هذه القرىٰ.

ومن الشيعة سبعون طالبـًا علىٰ الأقل، فيهم أبناء وأحفاد للشيخ حسين سمرو، العالم الشيعي المجتهد المتخرج من النجف، وقبل وفاته بفترة اكتشف خطة الثانوية في الدعوة الإسلامية، وعرف سلامتها، وقد التقيت به وتحادثنا طويلاً، وحضر محاضرة في جامع الصديق للأستاذ عبد الحكيم عابدين في حمص، وقد أوصىٰ جماعته بأن مرجعكم في كل شيء محمد علي مشعل.

وقد عملت بكل ما أستطيع علىٰ تجديد بناء الجامع في القرية (الغور)، وصليت بهم الجمعة مرتين، واتصلت بأوقاف حمص، وعَيَّنًا مؤذنـًا وإمامـًا للجامع من أوقافنا.

والتأييد من قبل الشيعة يكاد أن يصل أعلىٰ مستوىٰ، محاكماتهم وتقسيم إرثهم، وكل شئونهم العامة والخاصة صرتُ أُراجَعُ فيها حتىٰ فارقتُ سورية.

وأما النصيريون فهم جيراننا، والدي من قبلُ وعمي الشيخ حسين مرجعهم في الفتوىٰ والمحاكمات والإرث وكل شئونهم، ثم صرت المرجع الوحيد لهم ولغيرهم، ولما صارت المدرسة كان معظم طلابهم يسيرون مسافة ٥-٨ كم مشيًا حتىٰ يصلوا إلىٰ المدرسة، وتخرج منهم بالثانوية كثيرون، وأصبحوا ضباطًا، وقد جاءني طلاب من قرية شين (أكبر قرية للنصيرين في الجبل) وقد بدأ بها الإسلام السني الواضح كما سيأتي. وقد أكرمنا الله بعالم من دمشق عيّن مفتيا لتل كلخ الشيخ عبد العزيز [الرفاعي] وكان هذا دعمًا عظيما لموضوع شين وهو من أحبابي. فكان مددا للدعوة ودعما لها في شين وغيرها.

وإن هذه المدرسة (ثانوية علي بن أبي طالب رضي الله عنه) قلعة من قلاع الإسلام، وكان لها أثر كبير في المنطقة من الناحية الإسلامية، وأغلب المدرسين إن لم يكن كلهم من دعاة الإسلام الناجحين في الدعوة.

وقد زيد في ساعات الديانة وساعات اللغة العربية، وأكبرُ هَمٍّ لهم تجهيز الشباب ليطبقوا الإسلام علىٰ أنفسهم وفي أهليهم وذويهم وفي

ناحيتهم، وقد تخرج منها عددٌ كبير، وأسال الله أن يتقبل مني ومنهم، وأن يحفظ هذه المدرسة، ويبقيها قلعة في إعلاء كلمة الله.

ثانوية عمر بن الخطاب

وفي نفس الوقت أنشئت في حمص ثانوية عمر بن الخطاب رضي الله عنه باسم الشيخ محمد طيب الخوجة ابن شيخ حمص شيخ الفقه الإسلامي ومرجع العلماء وطلاب العلم والعامة في حمص الشيخ العلامة عبد القادر خوجة.

كما كان من قَبْلُ إنشاء المعهد العربي الإسلامي في حمص باسم الداعية الكريم عبد المجيد الطرابلسي رحم الله الجميع، وكان بهذا نصر عظيم للدعوة الإسلامية، ووجد رصيدٌ كبيرٌ وواسع في خدمة الدعوة الإسلامية، وانطلقت الدعوة للمدارس وإلىٰ البيوت في المدينة والقرىٰ.

وأسأل الله أن يحفظ هذا الرصيد ويوفقه لخدمة الإسلام الذي هو دين السعادة للبشرية، سعادة الدنيا والآخرة، فلا تكون سعادة الدنيا إلا بالإسلام، والذين يتخلون عن الإسلام حرموا أنفسهم من السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية، أسأل الله أن يوقظ المسلمين جميعًا من غفلتهم ويجهزهم لخدمة الإسلام والمسلمين.

الالتحاق بكلية الشريعة

ولما أسست كلية الشريعة بدمشق عن طريق الدكتور مصطفىٰ السباعي، وكان رئيس الجمهورية وقتها هاشم الأتاسي رحمه الله تعالىٰ، وبهمة الدكتور مصطفىٰ السباعي كتب الأجر لهاشم الأتاسي، وكان ذلك الفتح العظيم، وهو تأسيس كلية الشريعة بجامعة دمشق، ذلك النور العظيم والخير الجزيل.

فانتسبت لكلية الشريعة ١٩٥٤م منذ تأسيسها، كما انتسب الكثيرون لدعم الكلية، واعترَض عليّ المسئول عن التعليم الخاص (عبد المعين الملوحي) وكان شيوعيـًا كما ذكرت لكم، وأسأل الله أن يكون رجع قبل وفاته، لأن قانون التعليم الخاص في سورية يمنع الجمع بين الدراسة وإدارة المدرسة الخاصة.

نجحت من السنة الأولىٰ إلىٰ الثانية، وحال دون انتسابي ومتابعة الدراسة.

وانتسبت في العام الثاني إلىٰ كلية الآداب وكلية الحقوق، وفصلت بعد الملاحقة، وبقيت سنتين، ونجحت من السنة الثانية إلىٰ الثالثة، وصار الانقطاع.

ولما تمت الوحدة عام ١٩٥٨م وفي مصر لا يوجد هذا الشرط فتابعت الدراسة في كلية الشريعة.

وفي عام ١٩٥٨م دخلت الاتحاد القومي، وكانت تجربة عظيمة كما أذكر فيما بعد إن شاء الله.

وفي عام ١٩٥٩م أنهيت الدراسة في كلية الشريعة، وحصلت علىٰ ليسانس في الشريعة من جامعة دمشق، وانتسبت للدبلوم العامة.

وفي عام ١٩٦٠م حصل الانفصال وأنا طالب في الدبلوم العامة في كلية التربية جامعة دمشق.

وفي عام ١٩٦١م دخلت المجلس النيابي باسم جمعية العلماء، وأنا طالب في الدبلوم العامة، وفي العام نفسه حصل الانقلاب علىٰ المجلس النيابي وحكومة الدكتور معروف الدواليبي، ونجحت في الدبلوم العامة في التربية.

وحصلت انقلابات متتالية حتىٰ صار الأمر إلىٰ حكومة البعث ١٩٦٤م، وفي العام نفسه حصلت معركة في قرية شين بين المسلمين السنيين من العلويين وبين المرشديين كما سنذكره إن شاء الله.

تنصيب سلمان فيسي رباً للنصيريين

ومن خلال دراستي حول عام ١٩٣٨م كانت سورية تحت الانتداب الفرنسي، فبدراسة الفرنسيين للأوضاع الاجتماعية والدينية في سورية عرفوا: أن النصيريين يقولون بالحلول، وأن الله سبحانه وتعالىٰ في علي قد ظهر، وأن سَيِّدَنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الله، وأن سَيِّدَنا الحسنَ وسَيِّدَنا الحسين بعده وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسىٰ الكاظم ومحمد الجواد ومحمد الهادي وعلي الرضا والحسن العسكري ومحمد العسكري أئمة في الظاهر، آلهةٌ في الباطن، وأن محمد العسكري اختفىٰ عن الأنظار.

كما قال الشيعة الإمامية: بأن هؤلاء الاثني عشر من الأئمة معصومون، لم يصل إلىٰ مرتبتهم نبي مرسل ولا مَلَكٌ مقرب، وأن محمد العسكري هو المهدي المنتظر، ويقول الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية بأنه معمّر، (وتسمىٰ الشيعة الجعفرية والاثني عشرية والإمامية أيضـًا).

الفرنسيون أتوا بشخص اسمه سلمان فِيسِي، وهو جميل الصورة معتدل القامة، تظهر عليه علائم الذكاء، فنصبوه ربـًا، وفي حفل عظيم أعلنوا ذلك، وسجد المستشار الفرنسي ومن معه لسلمان فيسي، وسموه سلمان المرشد، فاتبعته ثلث الطائفة تقريبـًا ومنهم عشيرته.

تنصيب آغا خان رباً للإسماعيليين

وبنفس التاريخ عرفوا أن الإسماعيليين يقولون بالأئمة السبعة ويسمون الشيعة السبعية، لأن الأئمة سبعة: (علي، والحسن، والحسين، وزين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، والسابع: إسماعيل بن جعفر الصادق بدل موسىٰ الكاظم)، وإليه تنسب الإسماعيلية.

فأتوا بآغا خان ونصبوه ربـًا للإسماعيليين في سلمية، وتجاوب أمَّار سلمية معه، وأصبح ربـًا يعبد بدلاً من (إمام الزمان الحاضر في كل مكان).

وألغيت الصلاة التي كانت من قبل لإمام الزمان الحاضر في كل مكان الغائب عن الأنظار، وهذا في سلمية وما حولها، وأما مِصْيَاف فبقيت علىٰ حالها تصلي لإمام الزمان الحاضر في كل مكان.

بدء الدعوة الإسلامية في قرية شين

قرية تابعة لمنطقة تل كلخ، وهي من أكبر قرىٰ النصيرية.

بعد خروج الفرنسيين بدأت علىٰ يد الشيخ محمود شاهين وهو من شيوخ النصيرية، وهو أكبر شيخ عندهم، اطلع علىٰ عقيدة أهل السنة والجماعة فوجدها هي العقيدة الصحيحة، فبدأ يطبق بنفسه ويدعو من يحب، وكان الشيخ حبيب شاهين (مختار شين) من العقلاء، فبلغه ذلك، فذهب إليه مهدداً، فأجابه بما أجاب به مصعب بن عمير لأُسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهم جميعـًا: اجلس فاسمع، فإن رأيت حقـًا ما أنا عليه وإلا فلا نتعبك. قال: أنصفت، ودخل معه.

وانضم بدعوتهما بعض أولاد الشيخ حبيب، والشيخ عيسىٰ الرباحي والشيخ يونس وأبو محمد، وأحمد طياري أبو عبد المجيد، وصار عددهم لا بأس به، وكان لهم صلة معي، وكل الاتصالات كانت عن طريقي، وكنت معهم وبصحبة العلماء، وسمعوا أن الشيخ بكور (من قرية الغجر شماليَّ حمص، وكان له صلة معي أيضـًا) يُعَمِّر المساجد فاتصلوا به ليعمر لهم مسجداً.

ولما اطلع الشيخ بكور علىٰ ذلك وسمع منهم ما يدل علىٰ صحة الإسلام، واندفاعهم في طريق الهدىٰ، جاء بهم إلىٰ علماء حمص، وكانت جميع هذه الاتصالات تتم عن طريقي، وكنت أصحبهم في لقاءاتهم، ومن

الصعوبة بمكان أن يصدق علماء حمص إسلام الباطنيين، لما عرف عنهم من التقية، وعندهم تجربة في ذلك.

إلا أنهم عندما جلس الإخوة: أحمد طياري، والشيخ عيسىٰ الرباحي، والشيخ يونس وأبو محمد، وبدءوا يتكلمون عما كانوا عليه من الشرك والكفر والضلال، مالت قلوبهم للتصديق.

وذهب الشيخ بكور بهم إلىٰ حماة، فكان علماء حماة أسرع إلىٰ التصديق، ومنهم الشيخ محمد الحامد، واندفعوا اندفاعاً عظيماً نحو الاهتمام بهم، ونحو بناء المسجد، وبعد ذلك حصل التصديق من قبل علماء حمص الشيخ عبد العزيز عيون السود والشيخ أبو السعود عبد السلام، والشيخ طاهر الرئيس، والشيخ عبد الفتاح المسدي والشيخ وصفي المسدي وغيرهم.

وذهبنا (أنا و بعض علماء حمص بعد اقتناعهم بصدقهم) مع هؤلاء الإخوة إلىٰ حلب، واجتمعنا مع الشيخ محمد النَّبْهَان، وما كاد يسمع كلامهم، ويقع في قلبه تصديقهم حتىٰ أقسم ليقبلنَّ أيديهم، وفعلاً قبّل أيديهم رحمه الله تعالىٰ.

وخصص لهم من صندوق الجمعية (٨٠) ل.س، لكل واحد عشرون ليرة سورية، وكانت الليرة السورية في ذلك الوقت لها قيمة كبيرة، كل خمس ليرات ونصف تساوي ليرة ذهبية إنكليزية.

بُني المسجد في شين، وعين للمسجد إمامٌ من خيرة الدعاة، وهو الشيخ مرعي الضاهر وقد تقلب في عدة قرىٰ، وكان في كل قرية يترك أثراً طيباً، من جهة صلاة الجماعة ومن جهة الأخوة، ومن جهة حب العلماء.

وفي أيام الوحدة بين سورية ومصر دشن المسجد، وحضر التدشين وزير الأوقاف المركزي الشيخ أحمد حسن الباقوري، وعدد كبير من علماء دمشق ومن علماء حمص وحماة وحلب، وعدد كبير من المدن والقرىٰ، عدا المجتمعين من قرية شين ومن القرىٰ حولها، ومن تل كلخ القائم مقام، ومن عوائل الدَّنادشة وغيرهم.

وخطبت الجمعة، وكان مع الوزير الباقوري شيخ من شيوخ النصيرية (علي ديب) وأعجب بالخطبة ثم ألقيتْ في الحفل كلمات، وكانت كلمة الباقوري كلمة رائعة، ذكر فيها محاسن الإسلام، حيث ذكر قائم مقام تل كلخ أنه يوجد في الحفل نصارىٰ وغيرهم، فينبغي أن تتكلموا بالعروبة فكان الرد من الباقوري محكماً وموفقاً.

ثم رافقت الوفد إلىٰ تل كلخ ثم إلىٰ دمشق، وكان يرافقني الشيخ علي ديب، ويريد أن يدلني علىٰ شيوخ بيت الخير، ويطلق عليهم اسم المنصفين، وكان يقول لي: (أنت منصف)، إلا أنه لم يكتب لي الاجتماع بهم (قدر الله وما شاء فعل).

وقد علمت من كتبهم (المنصفين) ومن النقل عن ألسنتهم بأنهم يصرون علىٰ أن النصيرية هم شيعة جعفرية، وأنهم أبداً لا يقولون بالحلول ولا بالتقمص، وأن ما يذكر عنهم في بعض الكتب هو من باب المبالغة والغلو، ويصرون بأن النصيرية موحدون، وأن عليـًا رضي الله عنه من صحابة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأنه ابن عمه، وأنه زوج فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وأنه والد الحسن والحسين وأنه عبد مخلوق لله، والكتب التي تنشر باسمهم توضح ذلك وتفصله. ا.هـ. كلام المنصفين.

وقد سارت الدعوة في شين وسارت في كثير من قرىٰ النصيرية حتىٰ إنه في كل قرية عدد قليل ممن توضح لهم الحق، وهم موحدون من أهل السنة والجماعة علىٰ ما عليه رسول الله ﷺ وصحابته.

والآن بني مسجد جديد من طابقين، طابق مدرسة للذكور ومدرسة للإناث ودورات مياه، وطابق علوي للصلاة والدروس وسمي باسم عمار بن ياسر رضي الله عنه، والإقبال علىٰ الله وعلىٰ الصلاة يتزايد يومـًا بعد يوم.

وهناك ابن للشيخ محمود اسمه الشيخ يونس، من أهل العلم درس الإسلام علىٰ يد الشيوخ، وهو الآن مدرس في الثانوية العامة في شين، وهو الآن يخطب الجمعة، درس في المعهد الشرعي في حمص ثم في الغراء في دمشق ثم في الأزهر، ثم درَّس عندي في ثانوية علي بن أبي طالب.

والآن جدد بناء المسجد القديم ووسع، والآن في طريق الإتمام إن شاء الله تعالىٰ، وسمي مسجد بلال الحبشي[1]، ولما أسست ثانوية علي بن أبي طالب كان عدد من الطلاب من شين، وكان عدد كبير من طلاب النصيرية يأتون إلىٰ ثانوية علي بن أبي طالب في تلدو كما سيأتي.

(١) هذا قديمـًا أيام كتابة المذكرات، وقد بني مسجدان في شين، كل مسجد في ناحية، وكل مسجد طابقان، الطابق التحتي فرعان: فرع للذكور وفرع للإناث، والطابق العلوي لصلاة الجمعة، والدروس مستمرة والحلقات متتابعة.

الدعوة في قرية السنكري

وفي نفس الوقت الذي بدأت فيه الدعوة في شين بدأت الدعوة في قرية السنكري شرقي حمص كما بدأت في شين، وكان الشيخ النصيري الشيخ شعبان قنطاري مرشحًا للربوبية، وقد توفي، وله ولدان: محمد قنطاري وإبراهيم قنطاري، وانتسب إبراهيم للمعهد العربي الإسلامي في حمص وقد تلقن الإسلام في المعهد، وأعلن إسلامه، وأسلم أيضًا أخوه محمد الذي كان مرشحًا لمنصب أبيه.

ونقل عن الشيخ بكور الغجري أن الشيخ شعبان قال لزوجته وأولاده: إن دين السنية هو الدين الصحيح، وأما ما عليه النصيرية فهو دين فاسد، من صنيعة أعداء الإسلام، والله أعلم.

وعلىٰ كل فقد دخل في الإسلام من عشيرة الشيخ شعبان ومن أتباعه عدد لا بأس به، وقد عمل الشيخ بكور نفسه علىٰ بناء المسجد، وتم والحمد لله، وقام بحفلة تدشينه علماء حماة وحمص، وحضر علماء دمشق، وعلماء حلب، وخطب الشيخ محمد الحامد الجمعة في تلك الحفلة في المسجد، وعين الشيخ محمد علي الدرة إمامًا لمسجد السنكري، والشيخ محمد علي الدرة من العلماء، وله مؤلفات عديدة منها: شرح لقواعد اللغة العربية، ومنها إعراب القرآن الكريم.

معركة بين المرشِدِية والسنـية

لقد انتشرت المرشدية في زمن الفرنسيين عندما كانوا يحكمون سوريا ولبنان (الانتداب الفرنسي) ولما خرج الفرنسيون من سوريا وقتوا خروجهم في يوم عيد لهم حتىٰ يصبح عيد الجلاء في يوم عيد النصيريين الذين سماهم الفرنسيون علويين، فأصبح يطلق عليهم هذا الاسم، وقد هيأ الفرنسيون كل الأسباب حتىٰ يستقل العلويون بجبل العلويين ويكون سلمان المرشد حاكمـاً لجبل العلويين حسب تعبيرهم.

وقد قسموا سورية إلىٰ خمس دويلات هي دمشق وحلب والإسكندرونة وجبل العلويين، وجبل الدروز، وتولىٰ جبل العلويين حكام فرنسيون، وضمت إلىٰ حكومة دمشق وصارت اللاذقية محافظة، وعين محافظـاً عليها مظهر باشا رسلان من حمص.

سلمان المرشد وابنه مجيب:

اسمه سلمان فيسي من قرية (جوبه برغال) شرقي اللاذقية في سورية، نادىٰ به المستشار الفرنسي ربـاً، بعد أن أمده بالمال والجاه، حتىٰ أصبح زعيمـاً كبيراً عندهم.

ونادىٰ الفرنسيون بنبي له اسمه (سلمان عيده) من قرية مريمين ولقب (محيي الدين بك) وكان جمّالاً عند صالح الجندلي (ملاك قرية الأكراد

وبجانبها قرية سنيسل وقرية السمعليل) وهي من قرىٰ محافظة حمص علىٰ طريق حمص الحولة مصياف.

ولما قامت الثورة السورية ضد الفرنسيين، وانتهت بتشكيل حكومة وطنية لها شيء من الاستقلال الداخلي، جعلوا لبلاد العلويين نظاماً، فقويت شوكة سلمان المرشد، وتلقب برئيس الشعب العربي الحيدري الغساني.

وعين سنة ١٩٣٨م قضاة وفدائيين، وفرض الضرائب علىٰ القرىٰ التابعة له، وأصدر قراراً جاء فيه:

"نظراً للتعديات من الحكومة الوطنية والشعب السني علىٰ أفراد شعبي، فقد شكلت لدفع هذا الاعتداء جيشاً يقوم به الفدائيون والقواد. ..." الخ.

وجعل لمن سماهم الفدائيين لباساً عسكرياً خاصاً، وكان في خلال ذلك يزور دمشق نائباً عن العلويين في المجلس النيابي السوري.

فلما تحررت سورية وجلا الفرنسيون عنها، ترك الفرنسيون له من سلاحهم ما يقوم به للسيطرة علىٰ جبل العلويين والانفصال عن سورية.

فجردت الحكومة الوطنية قوة، وكانت المعركة الفاصلة التي فتكت ببعض أتباعه، واعتقلته مع آخرين، وجرت محاكمتهم، وحكم عليه

بالإعدام شنقـًا، ونفذ ذلك في ساحة المرجة في دمشق ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م (ونودي بابنه مجيب ربـًا).

(وهناك حسنة تذكر لصبري العسلي رحمه الله تعالىٰ، وهو أنه الذي صدق علىٰ حكم الإعدام)، ولا يزال حتىٰ الآن ينادىٰ بمجيب ربـًا.

ولما خاصمهم النصيريون الذين سماهم الفرنسيون علويين أخذوهم وسجنوهم، وساعدهم البعثيون عند استلامهم الحكم في هذا، فكانوا ينزلون بالمرشديين أشد أنواع العذاب، ويسألون الشخص: من ربك؟ فيقول: مجيب.

وظهر من المرشديين تعاون غريب وبخاصة عندما يعتقل شخص منهم، فإن كبارهم يسارعون لخدمة أهل بيته، ويقدمون لهم المساعدات، ويقومون برعاية تجارته إن كان تاجراً، وزراعته إن كان مزارعـًا، ويغدقون الهدايا علىٰ زوجته وأولاده، وكان المرشديون يسيرون في شوارع (شين) بمظاهرة ينادون فيها علىٰ مسمع المسلمين الذين أسلموا منهم: لا إله إلا مجيب.

ولما قام بالانقلاب أديب الشيشكلي (١٧/ كانون الأول/ ١٩٤٩م) وذهب إلىٰ الساحل استقبل بمظاهرة ترفع صورته وصورة مجيب، وسمع بأذنه: لا إله إلا مجيب.

فأخذته الغيرة والحماس، وجمحت به شهامته أن يسكت علىٰ هذا، فطلب من ضابط كبير من مساعديه، (وهو عبد الحق شحادة) أن يقتل مجيبـًا ولو بأي ثمن، وكان ذلك.

وكان المتوقع أن ينادىٰ بالولد (أبي الفتوح) ربـًا، ولكن تم الأمر مكتومـًا.

ولما قام الانقلاب علىٰ أديب الشيشكلي كان بإمكانه القضاء عليه إلا أنه لم يفعل خشية سفك الدماء، وذهب فاراً إلىٰ أمريكا (الأرجنتين) وقتل هناك غيلة، من قبل درزي انتقامـًا منه، لأنه ضرب الطائفة ضربة قاصمة.

والواقع أن الشيشكلي لما حكم كان له أراء من جملتها: جعل للعلماء زيـًا مخصوصـًا: الجبة السوداء وتحتها البنطلون المشايخي، والقميص الأبيض طوقه يجب أن يظهر مقدار ٢سم، والعمامة علىٰ طاقية مقولبة تشبه الطربوش إلا أنها بيضاء، ولا يزال بعض العلماء يلبسونها حتىٰ الآن، وعندما تكشفت له الأمور، ضرب النصيريين والدروز ضربات قاصمة.

[تسلسل الحكم بعد الفرنسيين]

نعود إلىٰ الماضي لنعرف كيف تسلسل الحكم بعد الفرنسيين:

في عام ١٩٤٦م جلا الفرنسيون عن البلاد، وكان هناك حزبان، الحزب الوطني وأكثريته في دمشق، وحزب الشعب، وأكثريته في حلب وفي حمص، فاستلم الحزب الوطني الحكم ١٩٤٣م وانتخب شكري القوتلي رئيسًا للجمهورية.

وفي انتخابات ١٩٤٧م برز الحزب الوطني، وألف جميل مردم بك الوزارة، وكان الرئيس بعدها سعد الله الجابري، وبعد وفاته وبعد الانتخابات ألفها جميل مردم بك، واستقالت الوزارة وكلف شكري القوتلي[1] خالد العظم بتشكيل الوزارة وبقيت في الحكم حتىٰ قام الانقلاب الأول.

(١) في تلك الآونة ترشح الدكتور السباعي للنيابة كما سيأتي، ورشح قائمة بكاملها، ونجحت، ولم يستطع وضع مادة دين الدولة الإسلام لمعارضة أعضاء مجلس الشورىٰ، سواء من الحزب الوطني أو من حزب الشعب أو من العلمانيين، وفي زمن حكومة التجمع ترشح ضد رياض المالكي، كما ترشح سعيد التلاوي ضد كمال كلاليب، وكانت الفاجعة حيث لم ينجح الدكتور السباعي، فأصابه شلل، ولكن بقي علىٰ همته ونشاطه رحمه الله تعالىٰ.

أولاً: الانقلاب الأول:

قام به حسني الزعيم ١٩٤٩م، ٣٠ آذار، وقدم شكري القوتلي وخالد العظم استقالتهما، وأيد حزب البعث الانقلاب.

أصدر حسني الزعيم القانون المدني، وقانون حل الأوقاف الذرية، ثم فرض الضرائب التصاعدية، وألف محسن البرازي الوزارة، وحكم حسني الزعيم (١٣٧) يومًا.

ثانياً: الانقلاب الثاني:

قام به سامي الحناوي في نفس العام ١٩٤٩م، ١٤ آب، وقبض علىٰ حسني الزعيم ورئيس وزارته وقتلهما، وشكلت الوزارة برئاسة هاشم الأتاسي، واشترك في الوزارة ميشيل عَفْلَق رئيس حزب البعث العربي، وركز علىٰ التعليم، فأرسل البعثات من حافظ الجمالي وسامي الدروبي وعبد الله عبد الكريم، الذين كان لهم شأن في تقوية الحزب.

ثالثاً: الانقلاب الثالث:

قام به أديب الشيشكلي في نفس العام ١٩٤٩م، ١٧ كانون الأول، وفي عهده عمل الدستور، وانتخب المجلس النيابي، وانتخب هاشم الأتاسي رئيسًا للجمهورية، وكَلَّف ناظم القدسي بتشكيل الوزارة (أكثرها من حزب الشعب)، لكن الوزارة استقالت بعد أيام، وكلف خالد العظم بتشكيل الوزارة، ودخل فيها أكرم الحوراني وزيراً للدفاع، فاستطاع أن

يشكل حوله مجموعة من الضباط، واستمرت هذه الوزارة حتىٰ ٤ حزيران ١٩٥٠م، شكل بعدها ناظم القدسي ثلاث وزارات متوالية.

وفي ٢٣ آذار ١٩٥١م كلف الرئيس هاشم الأتاسي خالد العظم بتشكيل وزارة جديدة، وبقيت أربعة أشهر، ثم تبعتها وزارة حسن الحكيم ٩ آب ١٩٥١م ثم بعد ثلاثة أشهر كُلِّف زكي الخطيب بتشكيل وزارة مؤقتة ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥١م وبعد خمسة عشر يومـًا، كلف الشيخ معروف الدواليبي بتأليف وزارة جديدة، وفي اليوم نفسه اعتقل الشيشكلي الوزارة، واستقال هاشم الأتاسي.

وأعلن أديب الشيشكلي دستوراً جديداً للبلاد، وأجرىٰ استفتاء، انتخب علىٰ أساسه رئيسـًا للجمهورية، وأراد أن يقضي علىٰ مراكز النفوذ، قتل محمد ناصر عقيد في سلاح الجو والمسئول عن الطيران ١٩٥٠م، وهاجم جبل الدروز، وقصف المدن وأذلهم، وضرب المرشديين، وقتل مجيب المرشد، ويقال: إنه سمع بأُذنه (لا إله إلا مجيب)، ورأىٰ صورة مجيب إلىٰ جانب صورته في المظاهرة التي خرجت لاستقباله في الساحل، فأمر أحد الضباط أن يقتله بأي شكل كان فقتله.

ولاحق زعماء الأحزاب، ففر أكرم الحوراني، ورؤساء حزب البعث، ثم سمح لهم بالعودة، وكان من آثار ذلك وحدة حزب البعث مع الحزب الاشتراكي، فصار اسمه حزب البعث العربي الاشتراكي.

رابعاً: الانقلاب الرابع:

تحركت قطعة من الجيش بقيادة النقيب مصطفىٰ حمدون، أحد أنصار أكرم الحوراني وانضم إليه قائد المنطقة الوسطىٰ، وآثر الشيشكلي الاستقالة، فقدم الاستقالة إلىٰ مأمون الكزبري، وكان نائب رئيس الجمهورية، وطلب منه أن لا يذيع الاستقالة حتىٰ يكون قد خرج من البلاد، فاتجه الشيشكلي نحو بيروت، وأذيعت الاستقالة في ٢٥ شباط ١٩٥٤م.

عاد إلىٰ الحكم الرئيس هاشم الأتاسي، وقدم الدكتور الشيخ معروف الدواليبي استقالته، وذهب إلىٰ مصر، وكُلِّفَ صبري العسلي بتشكيل الوزارة من جديد ١ آذار ١٩٥٤م.

وجرت انتخابات ٢٤ أيلول ١٩٥٤م، فاز فيها الشعبيون (٣١) مقعداً، والوطنيون (١٣) مقعداً، ونجحت قائمة أكرم الحوراني بحماة كاملة، وفاز فيصل العسلي زعيم الحزب التعاوني الاشتراكي في دمشق، كما نجح مأمون الكزبري من حركة التحرير العربي، وشكل فارس الخوري

الوزارة ١٨ تشرين أول ١٩٥٤، ثم استقال فألفها صبري العسلي، ودخل في الوزارة حزب البعث.

وأخيراً: أصبحت الدولة بيد خالد العظم، وصبري العسلي، وأكرم الحوراني.

وأصبح الجيش يسيطر عليه رئيس الأركان شوكت شقير، والعقيد جميل الفيصل والنقيب عبد الحميد السراج، وأحمد الهنيدي.

وكانت كتلتان تسيطران علىٰ الجيش:

- كتلة الضباط المستقلين بينهم أمين النفوري، وأحمد عبد الكريم، وعبد الحميد السراج. إلخ.
- وكتلة البعثيين: مصطفىٰ حمدون، وعبد الغني قنوت، وحسن حده، ومحمد أمين الحافظ، ونبيه الصَبَّاغ، وحصلت أمور وأمور.

وجاء العدوان الثلاثي علىٰ مصر، من قبل إنكلترا وفرنسا ودولة اليهود.

وأعلن اكتشاف مؤامرة للإطاحة بالحكم السوري، وادعت الحكومة أن العراق من ورائها، ووضعت في قائمة الخيانة عدداً من النواب: عدنان أتاسي، فيضي أتاسي، منير العجلاني، حسن الأطرش، وفضل الله جربوع، وكان من بينهم أديب الشيشكلي.

وناور أكرم الحوراني مع خالد بكداش لإسقاط حكومة العسلي، وجرت أمور أدت إلىٰ سيطرة الشيوعيين، وتألفت الجبهة التقدمية.

وقوي الإخوان المسلمون، وانضم معهم بعض أعضاء حزب الشعب، وتشكلت جبهة اسمها الجبهة الشعبية، وانقسمت البلاد إلىٰ قسمين.

ونجح بالانتخابات مرشحو الجبهة التقدمية، فنجح رياض المالكي ضد السباعي في دمشق، وكمال كلاليب ضد سعيد تلاوي في حمص، وتكالبت كل القوىٰ ضد الجبهة الشعبية.

وهنا -والله أعلم- أصيب السباعي بالشلل، وأرسل عبد الناصر سفيراً إلىٰ سورية محمود رياض، فصار يبرهن للإخوان المسلمين، أن عبد الناصر لا علاقة له بالإعدامات التي جرت، وأنها من عمل جمال سالم الذي كان قد قضىٰ نحبه.

ولذا فإن جماهير الشعب اتجهت نحو الوحدة مع مصر لإنقاذ سورية من براثن الشيوعيين، وكان والله أعلم اتجاه الإخوان المسلمين نحو الوحدة، بناء علىٰ أن الرئيس عبد الناصر وضع يده في يد رئيس رابطة العلماء (السيد مكي الكتاني)، وقال: إني أعاهد الله علىٰ تطبيق الإسلام.

وهكذا اقتنع البعيد والقريب والعالم والجاهل بالوحدة بين سوريا ومصر، وجرىٰ الاستفتاء عليها ٢١ شباط ١٩٥٨م، واشترطت مصر أن تَحُلَّ الأحزاب السورية نفسها فوافقت بعد توقف بسيط.

خامساً: الوحدة:

تمت الوحدة، واستفتي علىٰ عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة، وكانت هناك وزارة مركزية في مصر، ووزارة تنفيذية في كل إقليم.

والإخوان المسلمون أيدوا الوحدة، وأخلصوا لله العمل، بالرغم من معرفتهم بدم الشهداء، وبالرغم من إرسال نجيب جويفل باسم عبد العزيز سالم، حتىٰ يشق الإخوان المسلمين في سورية، وقد فعل، فتم انشقاق في صفوف الجماعة، في حمص حيث علي الحسن، وفي إدلب حيث أنور حمادة، وفي دمشق حيث كاظم نصري، وفي اللاذقية حيث رشدي المفتي، وكان هؤلاء الأربعة سلمهم الدكتور السباعي الإخوان المسلمين، وذهب إلىٰ لبنان في زمن الشيشكلي، وكانت له جولة عظيمة في تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في لبنان، بينما كان دعاة الانشقاق يشيعون الإشاعات الكاذبة.

وفي غياب الدكتور السباعي ترتب الانشقاق الأول في الجماعة، وكانت عناصره في حمص: علي الحسن وعبد المجيد الطرابلسي، وفي إدلب أنور حمادة، وفي دمشق كاظم نصري، وفي اللاذقية رشدي المفتي.

وكان أكرم الحوراني وصبري العسلي نائبي رئيس الجمهورية، وأُعْطِي المشير عبد الحكيم عامر الصلاحيات التامة للإشراف علىٰ الإقليم الشمالي، يعني سورية.

وحصلت انتخابات الاتحاد القومي، ونجح بعض الإسلاميين في كل بلد، وبخاصة في دير الزور وحماة، وعين منهم أعضاء في مجلس الأمة، مثل حسن عبيد في دمشق، وسعيد العبار في الغوطة، ومحمد طيب خوجة في حمص، وعين عبد المجيد الطرابلسي وأمثاله من الإسلاميين الذين صاروا ناصريين.

ولما قامت الوحدة بين سوريا ومصر في عام ١٩٥٨، وبناء علىٰ رأي العلماء دَخَلتُ في انتخابات الاتحاد القومي، وعُيِّنْتُ في لجنة المنطقة.

وذهبت إلىٰ مصر، وعينت في لجنة التوجيه القومي، وكنا واحداً وستين عضواً، منهم ثلاثون من حملة الشريعة، وواحد وثلاثون متدينون، والعدد علىٰ وجه التقريب وحسب الدراسة في ذلك الوقت.

وفوجئنا بجلسة حضرها الرئيس جمال عبد الناصر، وعبد القادر حاتم، أعلن فيها عبد القادر حاتم عقائد الجمهورية العربية المتحدة: ديمقراطية تعاونية اشتراكية.

فنظر بعضنا إلىٰ بعض، وكأن كل واحد يقول لإخوانه: لولا الإسلام ما جئنا، فما هذه المبادئ؟

وعقب الجلسة قدمت تقريراً لمقرر اللجنة (محمد سعيد العريان تلميذ محمد صادق الرافعي) أستنكر فيه هذه العقيدة، وأن عقيدتنا الإسلام، وبعد أيام سبق إلىٰ القاعة الجنس اللطيف، فسألنا عن السبب؟ فقالوا: سيأتي الرئيس، وفهمنا أن الرئيس لا يأتي حتىٰ يسبقه الجنس اللطيف.

وما إن بدأت الجلسة حتىٰ قامت رئيسة الاتحاد النسائي السوري، وتساءلت بأسلوب عجيب، كيف تجيزون للرجل أن يتزوج أربع نساءٍ، ولا تجيزون للمرأة أن تتزوج أربعة رجال؟ وبحضور الرئيس جمال عبد الناصر ومن معه، فقلنا: ستؤخذ هذه للسجن، وربما نالتها عقوبة كبيرة علىٰ هذا الكلام!

فرفعنا أيدينا لطلب الكلام ففوجئنا بأن مقرر اللجنة يقول: لا يسمح لذوي العمائم واللحىٰ والجبب أن يتكلموا، فأذن لشاب من حلب لحيته قصيرة وهو حاسر الرأس اسمه حسان، فدعونا له ووفقه الله لمناقشة الأمر من كل وجوهه، فانهزم الباطل وانتصر الحق وانتهت الجلسة.

وعرفنا فيما بعد أن هذه الإثارة جرت في كل لجنة من لجان الاتحاد القومي، والمقصود منها "تحديد النسل".

وبعد عودتنا إلىٰ سورية عَيَّنَ الرئيس ثلث المنتخبين، فكان لجنتنا أربعة: أنا، وواحد من الرستن، وواحد من القصير، وواحد نصيري من قرية غربي حمص، فَعُيِّن اثنان واحد نصراني، قد جاء من الأرجنتين قريباً، وواحد نصيري ساقط وسافل، وهذا يدل علىٰ معنىٰ خفي عظيم.

وكانت مهمة هذه اللجنة التي انتخبت لأمور عظيمة أن توزع التموين علىٰ الناس وكان شغلها الشاغل هذا، وأصبحت كأني مدير تموين أوزع التموين علىٰ الناس! واأسفآهْ واحسرتاهْ!

ونذكر أمراً عظيماً أنه بمجرد ما تمت الوحدة توقف المطر، وحصل الجفاف ثلاث سنوات عجاف، وتعطلت المحركات وجف نهر الذهب، وجفت الينابيع، حتىٰ ألف شاب من حمص رسالة بأن جمال عبد الناصر هو الدجال، وهذه من جملة علاماته.

وقد صدرت في أيام الوحدة قرارات هدامة، منها:

١-الإصلاح الزراعي:

الذي هو أعظم فساد، نزعت الأراضي من الملاكين وأعطيتْ للفلاحين، وهذه كارثة عظيمة جعلت الفلاحين يخوضون بالحرام، حتىٰ أن بعض الملاكين لم يمض علىٰ تملكهم إلا أيام.

٢-التأميم:

وكانت جريمته أكبر لأنه سلب الفقراء والضعفاء أموالهم، فالشركات الكبرىٰ كان أكثر المساهمين فيها من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، لتعود عليهم ببعض نفقاتهم ومعاشهم، وقد ذكر الدكتور الدواليبي: أن هذه القضية من أعظم الأمور التي قضت علىٰ الوحدة، وصرح في مصر لعبد الناصر بها، وتضايقت الأوساط المالية والتجارية والصناعية من قرارات التأميم التي تمت، والتي أماتت الصناعة، وعطلت التجارة.

وأصبحت الشركات تخسر، وأصبح العمال في الشركات موظفين.

والإصلاح الزراعي الذي هو في حقيقة الأمر الإفساد الزراعي خرب البلد.

وأتي بضباط من مصر، ليصيروا أعلىٰ بكثير من الضباط السوريين.

وفي التعليم أتي بأساتذة من مصر، ليساهموا في التعليم، وهم ليسوا بأهل لذلك سوىٰ أنهم من مصر، وكل ضابط مهما كانت مرتبته يؤمر علىٰ أكبر شخصية سورية ولو كان أعلىٰ منه كثيراً.

خديعة جمال عبد الناصر للعلماء:

وفي أثناء كل ما حصل أرسل جمال عبد الناصر البكباشي حسن التهامي لرئيس رابطة العلماء في دمشق يقول: كانت هناك عقبات في تنفيذ الوعد السابق، الصاغ جمال سالم، والصاغ صلاح سالم، وقد زالت العقبات، ولذا فإن الجمهورية العربية المتحدة تضع كل إمكانياتها تحت تصرف العلماء الثقات في مصر وسورية، ولذا ينبغي الاجتماع في مصر، ومن الضروري أن يختار العلماء الذين لم يتلوثوا بحزبية أبداً، حتىٰ تكون قراراتهم خالصة لوجه الله، لا تتأثر بأهواء، ووضع واسطة بين رئيس الرابطة وبين البكباشي حسن التهامي يكون همزة الوصل، والبكباشي حسن التهامي يتصل بالرئيس جمال عبد الناصر.

وهكذا قام السيد مكي الكتاني بهذا الأمر، وتم اختيار صفوة العلماء من دمشق، إلا أن التباعد بين العلماء والفجوات، جعلت صعوبة في الاختيار.

وتم اختيار علماء من حمص بسهولة، حيث أن كلمة العلماء في حمص مجتمعة، وجمعية العلماء بحمص تحتوي علىٰ نخبة من العلماء

الأفاضل: المفتي، والشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ وصفي المسدي، والشيخ أبو السعود عبد السلام، والشيخ عبد الغفار الدروبي، والشيخ عبد الفتاح المسدي، وبينهم محمد علي مشعل.

وتم اختيار علماء من حماة منهم الشيخ محمد الحامد، والشيخ محمد علي مراد، والشيخ صالح النعمان.

وتم اختيار علماء من حلب منهم الشيخ محمد النبهاني، والشيخ أبو الخير زين العابدين، والشيخ عبد الباسط خلف، والشيخ محمد بلنكو، والشيخ مصطفىٰ الزرقا، وآخرين لم أحفظ أسماءهم.

وتم الاجتماع الكبير في ليلة ٢٧ رمضان في بيت السيد مكي الكتاني رحمه الله وكان العدد يزيد علىٰ ستين عالمـًا، بينهم الدكتور معروف الدواليبي، والشيخ مصطفىٰ الزرقا، والسيد المنتصر كتاني، وعصام العطار، وكان يتحدث الشيخ مصطفىٰ الزرقا ويبكي، ويقول: هذا اليوم ليس كالأيام، وضعت الجمهورية العربية المتحدة جميع إمكانياتها تحت تصرف العلماء.

وأنزلنا نحن في فندق اليرموك، وأنزل الحمويون في الفندق المقابل له، وأنزل الحلبيون في فندق آخر، وسهر كل في ترتيب الدولة، وكتابة الخطة لتطبيق الإسلام.

وأذكر أني قابلت الشيخ محمد الحامد صبيحة ذلك اليوم، فسألته: ماذا كتبتم؟ فقال مازحا: حمصي يلعب علىٰ حموي، رحمه الله ما كان أجمل مخاطبته.

وفي صبيحة ٢٧ رمضان وزعت علينا حقائب صغيرة من المطار، وهيأنا أنفسنا للسفر لمصر، واجتمعنا في قاعة جمعية الغراء بحضور الشيخ أحمد الدقر رحمه الله تعالىٰ.

وانتظرنا طويلاً حتىٰ بعد العصر بساعة، فجاء السيد مكي وطلب منا ضبط الأعصاب وقال: تأجل المؤتمر، فهاج الجميع وماجوا، واعتبروا ذلك من أكبر الإهانات لهم، وأصبحوا يهددون إذا كان هذا التأجيل من نواب رئيس الجمهورية السوريين صبري العسلي، أكرم الحوراني، خالد العظم.

وقد ذكر السيد مكي بأنه صلىٰ الظهر، وعند انتهاء الصلاة سمع الهاتف يدق، فرفع السماعة وإذا بهمزة الوصل يقول: يا سيدي تأجل المؤتمر، فرد عليه السيد مكي رداً شديداً، وسأله عن الأسباب فقال: التأجيل لأيام قلائل.

وهاج العلماء وتكلم الكثيرون بكلمات شديدة، وتكلم الشيخ أحمد الدقر بكلمات يذكر فيها أن كرسي الشيخ مصطفىٰ السباعي فارغ، لأنه كان مريضـًا ثم تفرقنا شاكرين الله عز وجل علىٰ السلامة.

وصرنا نفكر بهذا الموقف، فكان يخطر علىٰ بال الكثيرين بأنه قد تكون مؤامرة للقضاء علىٰ هؤلاء العلماء والتخلص منهم، وقد تكون العقبة من القصر من أكرم الحوراني وصبري العسلي وخالد العظم.

ولذا فإن المسلمين وبخاصة العلماء خدعوا بالوحدة، وخدعوا بالعهد الذي أعطاه عبد الناصر بتطبيق الإسلام، وخدعوا بهذه المرة.

وعلىٰ كل فنقول: معذورون بالخديعة، لأن من الحكمة: (من خدعنا بالله انخدعنا له)، وأنا خدعت بالاتحاد القومي، وأسال الله أن يغفر لي، والنية صالحة إن شاء الله فما دخلت إلا من أجل الإسلام.

خديعة جمال عبد الناصر كانت صعبة جداً، لأنه جاءنا عن طريق الإسلام في المرة الأولىٰ، وفي المرة الثانية، والخديعة تناولت الجميع إلا من عصم الله:

١. عشرون يومـًا في مصر، لا يسمح لنا بالاتصال بأحد، وكنا نتحرك بالخطة المرتبة لنا.

٢. العلمانيون يتحركون واللادينيون ينشطون.

٣. زرنا مكتب أنور السادات، فوجدنا صورة مصطفىٰ كمال، معلقة في صدر المكتب.

٤. لم يعين في مجلس الأمة إلا من وثق بميله للاتجاه، إلا بعض الأشخاص المقربين لبعض الأصحاب.

٥. العلاقة توطد جداً مع الإسلاميين الذين انحرفوا، وصاروا ناصريين، مثل عبد المجيد الطرابلسي، ومع العلماء المسايرين، مثل عبد الستار السيد.

٦. واستغل الاشتراكيون، وبخاصة حزب البعث الاشتراكي العربي الوضع، فحققوا بعض أهدافهم، مثل الإفساد الزراعي، والتأميم، وفرح الشيوعيون بالأمر، لأن هذا من أهدافهم، وأصبح الفلاحون اشتراكيين ناصريين، والغم والهم والشدة علىٰ الإسلاميين.

ففي دمشق وفي حلب اختلت الموازين كثيراً، إلا في حمص فكان فيها (عبدو حكيم) فكان الإسلاميون والعلماء في راحة.

ولما جاء أنور السادات لزيارة سورية، وخرج الشعب لاستقباله، خرج شباب الإخوان بمظاهرة، وكانوا يقتربون من سيارته ويقولون: سننتقم سننتقم، لأنه قد حكم بإعدام كبار الدعاة في مصر.

وقبض يومها علىٰ سبعة عشر شاباً، فذهبنا لقيادة الموقع، وكان هناك عبده حكيم فقال: لا تفعلوها بعد هذه المرة، وأطلق سراحهم رأساً، وكان في الوفد الشيخ طاهر الرئيس والشيخ أبو السعود، وبعض العلماء ومعهم الشيخ محمد علي مشعل.

وكذلك مررت علىٰ الزارة وبعض القرىٰ، وعلىٰ تلكلخ، وألقيت مواعظ، فكتب شخص من تلكلخ تقريراً بذلك، وجاءني تبليغ للحضور، ولما جئت قال: أنت محمد علي مشعل لا تؤاخذني ظننت غيرك، واكتفىٰ بهذا، وكان له صلة مع آل عبارة بحمص، بسبب الضابط ممدوح عبارة، وبسبب الناصرية، فخف الضغط في حمص أيام الوحدة.

ومع ذلك لما لم يتحقق لهم (الشيوعيين) من الوحدة كامل أهدافهم، بدءوا يتآمرون عليها، وكانوا من أوائل المنقضين عليها، الساعين في هدمها.

وبقيت الخديعة مستمرة إلىٰ ما بعد الانفصال وعامه، حتىٰ خطب الشيخ علي الطنطاوي، فتراجع أهل الفهم والوعي، وبقي الكثيرون مستمرين بالخديعة، يظنون أن جمال عبد الناصر يدعو إلىٰ الدين، وهو ضد الاستعمار، وإيمان المسلمين بالوحدة غلب علىٰ كثير من الناس، ولما خطب الشيخ وصفي، وخطبت أيضا مبيناً جرائم عبد الناصر،

أصبحنا مُبْغَضِين عند كثير من الناصريين، إلا من عصم الله، مع أننا لم نكرر الخطبة.

وأصبح في البلاد حزبٌ يُطْلق عليه الناصريون ويشمل كثيراً من الناس لزمن بعيد.

وأصبح اتجاه في الشعب ضد العلماء والإخوان المسلمين من أجل هذا، ما عدا دمشق فإن الأستاذ عصام العطار لم يسارع بإلقاء خطبة، فأصبحت النظرة له بأنه وحدوي، ولذا كان الأمر في دمشق أحسن منه في حمص وحلب.

وأما حماة فقد عادت الاشتراكية إلىٰ أوجها، وأصبحت حماة معسكرين، إسلامي واشتراكي، والعداء مستحكم، والفلاحون تغلب عليهم الاشتراكية، وبخاصة في قرىٰ الإقطاعيين، ولو أن جمال عبد الناصر هو الذي نفذ أهداف الاشتراكية.

سادساً: الانفصال:

لم يكن باستطاعة أحد أن يتكلم أيام الوحدة، فالأفواه قد كممت، والوسائل الإعلامية مسخرة لتمجيد الحاكم، والرقابة في كل مكان ومجال، وعلىٰ كل فرد.

والبعثيون استقالوا من الوزارة، وترك أكرم الحوراني نيابة رئيس الجمهورية، وصلاح البيطار غادر وزارة الخارجية.

وكان مدير شئون الضباط العقيد أكرم النحلاوي موضع ثقة عبد الحكيم عامر، و النحلاوي يرجع إليه بالشكوىٰ من كل الجهات، فقام جزاه الله خيراً بنقل الضباط حسب الترتيب الذي رتبه لنفسه، وقبل مدة يسيرة من التنفيذ اتصل بمهيب حسن الهندي، معاون قائد اللواء (٧٢)، ومعه الرائد هشام عبد ربه، والنقيب هشام نشاوي، والنقيب جمال بعلبكي من اللواء (٧٠)، ومن القطيفة بإمرة العقيد صافي وائلي، وقوات البادية بإمرة المقدم حيدر الكزبري، والضابط ممدوح حناوي، وياسين كدور، وإحسان سامي، وسيطرت القطعات علىٰ الوضع، ودعم الحركة كثير من الضباط، وفي مقدمتهم العميد عبد الغني دهمان، قائد منطقة دمشق، والعميد موفق عصاصه، قائد القوات الجوية بالوكالة، والعميد زهير عقيل رئيس عمليات القوات الجوية، والعميد محمد منصور قائد المنطقة الساحلية، وألقي القبض علىٰ الضباط المصريين، ووضعوا في معرض

دمشق الدولي للعمل علىٰ تسفيرهم، واستقر الأمر رأساً وبسرعة، وكان ذلك عام ١٩٦٠، والله أعلم.

وأيد السياسيون الحركة، شكري القوتلي، ومأمون الكزبري، وأكرم الحوراني، وصلاح البيطار، ومحمد المبارك، ورفض الإخوان المسلمون (أي عصام إذ أعلن أنه مع الوحدة، ولكنهم يَدْعُون إلىٰ الإصلاح،) ولعل هذا من الحكمة، حتىٰ لا تصير فجوة بين الدعوة وبين الرعاع الذين خدعوا بالوحدة، وربما عاش بعضهم علىٰ الانتفاع بها وأعلنوا أنهم مع الوحدة.

المجلس النيابي:

وشكل مأمون الكزبري الوزارة الأولىٰ، ودعت إلىٰ الانتخابات، وتمت الانتخابات ونجح عدد كبير من حزب الشعب في حلب، وعلىٰ رأسهم الدكتور معروف الدواليبي، ونجح البعض من الحزب الوطني، وعلىٰ رأسهم الشيخ مصطفىٰ الزرقا، وهناك مستقلون، ونجح الحزب الاشتراكي في حماة، بسبب ضم الريف إلىٰ المدينة فلم تنجح قائمة الإخوان المسلمين في حماة.

ونجح مرشحو الإخوان في دمشق، ونال الأستاذ عصام العطار أصواتاً عالية، ونجح معه عمر عودة الخطيب، وزهير الشاويش، ونجح عدد من الإسلاميين في دمشق، علىٰ رأسهم الشيخ عبد الرءوف أبو طوق، والشيخ

حسين الخطاب، وأحمد مظهر العظمة، ونجح في حلب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

ونجح مرشحو الجماعة في حمص: محمد علي مشعل، ومحمد طيب خوجة، ولم ينجح عمر الحكيم، لقلة معارفه، وكان بين محمد علي مشعل وهاني السباعي مرشح الكتلة الشعبية الاشتراكية أربعة آلاف صوت، والأستاذ محمد طيب أكثر، وبين محمد علي مشعل وبين فيضي أتاسي وعدنان أتاسي ما يقرب من ستة آلاف صوت، ونجح في اللاذقية الدكتور نبيل الطويل، ونحج من جسر الشغور أخ كريم... . وليس هناك مبالغة لأن النواب ينفقون في سبيل الانتخابات آلاف الليرات السورية، وأما نحن فالمئات من الدعاة ومن المثقفين والمتدينين هم يقومون بالنشاط في الانتخابات، والحمد لله. فيعتبروننا خداما للإسلام والدعوة الإسلامية جزاهم الله خيرا، ونسأل الله أن يرزقنا الصدق والإخلاص والتواضع، وأن يبعدنا عن المباهاة والتفاخر والتعاظم، ويزيدنا تواضعا وإخلاصا، ويوفقنا لبذل الجهد في سبيل الله في الدعوة إلىٰ الله وخدمة المسلمين.

وتكونت كتل المجلس النيابي: كتلة حزب الشعب، وكتلة الاشتراكيين، وكتلة الناصريين، والكتلة التعاونية الإسلامية وعددها

(١٣) نائبًا، وهي قوة لا يستهان بها، بسبب تأييد الشعب لها، لكونها تدعو إلىٰ الإسلام.

اجتمع المجلس النيابي ١١ كانون أول ١٩٦١/ ٤ رجب ١٣٨١هـ.

وانتخب مأمون الكزبري رئيسًا له، وبعد يومين عاد إلىٰ الاجتماع، وانتخب ناظم القدسي رئيسًا للجمهورية، وعهد إلىٰ الدكتور معروف الدواليبي بتشكيل الوزارة.

وهنا كانت محاولة الدكتور الدواليبي بإقناع كتلتنا بترشيح ليون زمريا، فأجابت الكتلة بالرفض القاطع، وأصروا علىٰ الدكتور معروف الدواليبي، وقالوا: لا نعطي الثقة إلا لك.

وألف الدكتور الدواليبي الوزارة، والشيخ مصطفىٰ الزرقا أصبح وزيراً للأوقاف، وعمر عودة الخطيب وزيراً للتموين، وأحمد مظهر العظمة وزيراً للزراعة، والدكتور نبيل الطويل وزيراً للصحة.

مواقف في المجلس النيابي

وكانت الأمور جيدة، وقد أخر الدكتور مأمون الكزبري البحث في دين الدولة، ولعل ذلك حتىٰ تمر بعض القوانين، وكانت الكتلة التعاونية الإسلامية في مركز لائق بها، محترمة من قبل المجلس، وحدثت بعض الأمور:

فقد أُلْغِيَ التأميم، والإصلاح الزراعي، وقُدِّم للمجلس النيابي قانون لإقراره ينص علىٰ التعويض علىٰ أصحاب الأموال، وعلىٰ أصحاب الأراضي، تدفع لهم الأثمان مقسطه علىٰ أربعين سنة، مع فوائد (٥٪)، فقدمت الكتلة اقتراحاً بإلغاء الفائدة حيثما وجدت، ووافق المجلس علىٰ ذلك، وعند المناقشة فوجئنا باعتراض علىٰ إلغاء الفائدة وطلب وزير الداخلية أحمد قنبر تأجيل الجلسة إلىٰ الغد حسب نظام المجلس.

وفي المساء دعينا من قبل الدكتور السباعي رحمه الله وسألنا عن الموضوع، وذلك لأن الدكتور الدواليبي والشيخ مصطفىٰ الزرقا شكيا له، فلما سمع كلامنا اقتنع بالفكرة.

وعدنا إلىٰ جلسة المجلس النيابي، فوجدنا المعركة احتدمت بين الشيخ مصطفىٰ الزرقا وبين الأستاذ زهير الشاويش، وسمعنا كلام الشيخ الزرقا بطلب إبقاء الفائدة، وبأنه لا مانع منها وبأنها ليست ربا، ورد عليه الأستاذ زهير الشاويش رداً شديداً، وتكلم أيضاً عبد الرؤوف أبو طوق.

وبدأ الذين كانوا يحترموننا يضحكون علينا، وسقطت هيبتنا، وأصبحنا بعد تلك العزة تقتحمنا الأنظار، وصح علينا المثل :(لا تقطع شجرة الإسلام إلا بغصن منها).

حادثة أخرىٰ قبلها:

في جلسة من جلسات المجلس رفعت الرواتب: رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء والوزراء والنواب، وكنت أضرب بيدي علىٰ الطاولة، فلا يلتفت رئيس الجلسة إليّ، حتىٰ إذا أقر وانتقل إلىٰ موضوع آخر وهو موضوع إنشاء تماثيل للشخصيات البارزة فقرعت الطاولة فسمح لي بالكلام، فناقشت موضوع التماثيل، وقلت: نحن المسلمين نحيي ذكرىٰ المعلمين بتسمية مدارس بأسمائهم، أو مساجد أو شوارع أو مستشفيات أو مستوصفات، وأما أن نعمل تماثيل فهذا لا يليق بأمتنا أمة الهدىٰ والنور أمة الحق والوعي.

ثم تابعت كلامي بالاعتراض علىٰ موضوع الرواتب في هذا الوقت، فهل أنصفنا العمال والموظفين الصغار، وأنصفنا كل الناس، ولم يبق إلا نحن؟ حسبنا الله ونعم الوكيل.

وسقطت هذه الكلمة كأنها جبل، وقام النائب الدرزي " نايف جربوع " وقال: هذه الكلمة: إهانة للمجلس النيابي، وطلب حذفها، فرددت عليه بأن هذه الكلمة دفاع عن المجلس النيابي أمام الشعب الذي انتخبه، فكيف يقرر ضد توجهاته، وتكلم أحد العلماء فقال: ما هكذا يا سعد تورد الإبل، ظنًا منه أن هذه الكلمة تسيء إلىٰ الاتجاه الإسلامي.

وواجهني أكرم الحوراني فقال: الإقطاعيون والأغنياء عندهم سيارات، وعندهم كذا وكذا، وأما نحن فليس عندنا شيء، كأنه يريد رفع الرواتب ويقر ذلك.

وإن الشعب في الشوارع، والنظارة فوق المجلس، عندما ألقيت الكلمة صفق تصفيقًا حاداً، تأييداً، وبعد مدة من الزمن تمنىٰ الكثيرون أن لو كانوا ألقوا مثل هذه الكلمة لما رأوا تأييد الشعب لها.

وينبغي أن نذكر موقف الشيخ زهير شاويش بباب المجلس عقب الجلسة، حيث أمسك نايف جربوع، وهدده من أجل موقفه معي في المجلس جزاه الله خيراً، وقد كلمه كلامًا مقذعًا.

وهكذا ينبغي أن نبحث هذا الأمر قبل عرضه علىٰ المجلس، وكذلك كل الأمور حتىٰ يكون الموقف واحداً.

[الاعتناء بالنصيريين]

وأرجع لأبحث موضوع مهمـًا:

أذكر أنا عرضنا علىٰ المسئولين الكبار موضوع النصيريين، وأنه موضوع هام، فهذه شريحة كبيرة من الشعب، جاهلة ينبغي الاعتناء بها، والاهتمام بشأنها، فكان يضحك منا ناظم القدسي، بينما تجاوب معنا صبري العسلي وشكري القوتلي.

سابعا: الانقلاب السابع:

كانت الفتن والاضطرابات تتزايد، حتىٰ قام بالانقلاب السابع شرذمة صغيرة، اللواء زياد الحريري، ومعه لؤي الأتاسي واللواء محمد الصوفي.

وهنا أقول بصراحة علىٰ حسب فهمي: لقد ضيعنا فرصة كبيرة، فقد اشتغلنا بتصليح القوانين، وتعديل الأنظمة، وأغفلنا الجيش حتىٰ كان ما كان.

وكنا نظن أن فلانا له صلة بالجيش، وهو ينظمه، وقد تبين أن الأمر أقل من أن يذكر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا وقد أهملنا الأمور منذ خرج الفرنسيون، فلم يعتن المسلمون بالجيش، حتىٰ أصبح الجيش بيد الأقليات، وبيد الذين لا يريدون الخير لهذا الجزء من العالم (الوطن السوري).

وهذا الأمر عام، فبعد سقوط الخلافة الإسلامية واستيلاء الكفار علىٰ بلاد المسلمين، تركزت الأمور لإبعاد الإسلام عن الحكم، وتألفت في سورية الكتلة الوطنية، ولم يشعر الناس حتىٰ القائمين بها أنها لإبعاد الإسلام عن الحكم، وانتشرت فكرة من العلماء عدم الدخول في السياسة.

فأصبح الحزب الوطني مؤلفاً من الماسونيين، وكل من تولىٰ السلطة من الحزب الوطني من الماسونيين أو علمانياً، ما عدا هاشم الأتاسي رحمه الله (فيما أعلم)، ودخل فيه أو ترشح باسمه الشيخ مصطفىٰ الزرقا ليجره إلىٰ الإسلام.

وتألف حزب الشعب، ولم يشعر إلا دعاة الإسلام بأن المقصود إبعاد الإسلام عن الحكم، وكان هذا أشد من ذاك، ودخل فيه الشيخ معروف الدواليبي ليجره إلىٰ الإسلام، وكان أهم أركانه رشدي الكيخيا وناظم القدسي (حلب)، وعدنان الأتاسي وفيضي الأتاسي وهاني السباعي (حمص).

ثم انفصل هاني السباعي عن حزب الشعب، وألف الكتلة الشعبية الاشتراكية، حتىٰ يعبر عما في نفسه من المبدأ الشيوعي، الذي كان معروفاً بالانتساب إليه، وألف الوزارة، ودخل فيها أحمد الحاج يونس، وأصبحت له صولة.

وانضم خالد بكداش للمجلس النيابي فيما بعد الفترة الأولىٰ، وأصبح للشيوعية مركز مهم في المجلس النيابي السوري، وجاءت الوحدة (وكل ما يجري علىٰ المسلمين فيه حكمة قد ندركها وقد لا ندركها)، فأنقذت البلاد من الشيوعية (والله أعلم).

وكانت هذه الأحزاب تعتمد علىٰ الأقليات، وتعتمد علىٰ المنحرفين والضالين، فحزب الشعب كان يُرَشَّحُ فيه عدد من النُّصَيْرِيَّة، مثل: عيسىٰ الونوس، والحزب الوطني كان يرشح عدد من النصيريين مثل النقري، ولذا لم يستطع الإسلاميون أن يضعوا في سورية مادة (الإسلام دين الدولة)، بالرغم من أن ٨٥٪ من الشعب مسلم سني، ولم يستطع الدكتور السباعي ذلك كما ذكرنا، بالرغم من أن الشعب يؤيده والعلماء بالإجماع، فحزب الشعب والحزب الوطني والكتلة الشعبية الاشتراكية ضد موضوع (الإسلام دين الدولة) وضد موضوع (الفقه الإسلامي مصدر التشريع) حتىٰ ضد "الفقه الإسلامي المصدر الرئيسي للتشريع".

ولذا فإن الدعوة الإسلامية تسير في مرحلة شاقة، ومعرضة للطعن الكاذب والافتراءات والاتهامات الباطلة.

وعندما تم الانفصال رأينا العجب العجاب من تأييد الشعب للإسلاميين في الانتخابات النيابية كما ذكرنا.

ولما وقع الانقلاب، وقام حكم البعث بدأت الاستفزازات: بدأ أفراد الحرس القومي يتبخترون في الطرقات، وبدأت التنظيمات النسائية، والاستهتار بالحجاب والقيم، وطرح الشعارات والمزاودات، ومحاولة تطبيق العلمانية، وإبداء كل مظاهر السوء.

وقال إبراهيم خلاص: (يوضع الله والرسول والقرآن في متاحف التاريخ)، فمنَّ الله عليَّ بموقف عظيم وجاءت الجمعة فخطبت خطبة الجمعة، وكانت كالصواعق علىٰ أعداء الإسلام، فانهزم الباطل وانتصر الحق.

وقالوا في المظاهرات: (خُود سلاح وهات سلاح - دين محمد ولىٰ وراح). ونقلوا مدرسي التربية الإسلامية من أماكنهم إلىٰ أماكن بعيدة، وقسم منهم عينوهم في أماكن ليس فيها مسلمون.

أحداث في زمن البعث:

وقد حاول العلماء مع المسئولين إعادة الحكومة إلىٰ الصواب بالمراجعات، فكانت تثمر أحيانًا وتخفق أحيانًا، ولكن البعثيين ومن معهم من النصيريين يسيرون في طريق الغواية، وكان محمد أمين الحافظ رئيس الجمهورية، فقامت المظاهرات الصاخبة والانفجار الشعبي في حماة، وأخذ الحماس مروان حديد، ومن معه من الشباب سنة ١٩٦٤ م.

وكانت النتيجة أن اعتصم مروان ومن معه في جامع السلطان، وصممت السلطة علىٰ ضرب جامع السلطان، وأحرق جامع السلطان الذي يصلي ويخطب فيه الشيخ محمد الحامد، وألقي القبض علىٰ مروان حديد ومن معه، فحكم عليهم بالإعدام، وكاد أمين حافظ أن يضرب مدينة حماة، لولا أن منَّ الله عليه بالشيخ محمد الحامد، فكلمه كلمات خوفه من الله، فاستجاب للشيخ محمد الحامد، وكف عن الضرب، ثم عفا عن مروان وإخوانه.

وفي حمص اعتصم الشيخ عبد الباقي رمضون وبعض الشباب في جامع خالد بن الوليد تجاوبًا مع المعتصمين في جامع السلطان، وكسر باب المسجد، ودخل نور الدين الأتاسي بالدبابة لداخل المسجد، وألقىٰ القبض علىٰ الشيخ عبد الباقي ومن معه وأيضًا حكم عليهم بالإعدام، وأودعوا السجن.

ولما بلغ جمعية العلماء في حمص تدخل الشيخ محمد الحامد وشفاعته عند محمد أمين الحافظ في مروان وإخوانه وقبول شفاعته، ذهبت مع الشيخ وصفي المسدي لحماة، لزيارة الشيخ محمد الحامد، ورجائه أن يتدخل ويشفع في الشيخ عبد الباقي ومن معه، ولكن الشيخ محمد الحامد اعتذر، فرجعنا إلىٰ حمص، واتصلنا بمحافظ حمص محمد

سعيد الخدام، وطلبنا منه أخذ موعد من محمد أمين الحافظ لمقابلته، وتمت المقابلة في قصر الضيافة بدمشق.

حيث خرج الشيخ عبد العزيز عيون السود والشيخ أبو السعود والشيخ وصفي والشيخ عبد الفتاح والشيخ عبد الغفار وكنت معهم من حمص إلىٰ دمشق، وجمع أمين الحافظ أعضاء مجلس الرئاسة، حتىٰ يلبي طلبنا، وفعلاً كانت المقابلة جيدة، واستجاب لمطالبنا في العفو عن الشيخ عبد الباقي رمضون وجماعته.

وفي مرة ذهبت مع الشيخ بدر الدين الأتاسي مفتي حمص والشيخ عبد الفتاح المسدي إلىٰ بيت نور الدين الأتاسي بدمشق، لنأخذ موعداً لمقابلة أمين الحافظ، ودخل الشيخ بدر الدين الأتاسي إلىٰ داخل البيت، لأن له قرابة ورحماً، وهو زوج عمة نور الدين، وتربىٰ نور الدين في بيته.

فبقيت مع الشيخ عبد الفتاح المسدي مع نور الدين، فقلت له: يا نور الدين تعرفون أين ذاهبون؟ قال: إلىٰ أين؟ قلت: للهاوية، فإن القوم يخططون لاستلام الحكم، فقال: إنهم مواطنون. (وهذا منطق العلمانيين).

ومرةً جئنا (نحن جمعية العلماء بحمص) رئيس الجمعية مفتي حمص الشيخ بدر الدين الأتاسي، والشيخ عبد العزيز عيون السود أمين الفتوىٰ،

والشيخ أبو السعود عبد السلام، والشيخ عبد الفتاح المسدي، والشيخ عبد الغفار الدروبي، وكان نور الدين وزيراً للداخلية، وذكرنا له ما تنشره الصحف ضد الدين، وما يتصرف به البعض ضد الأخلاق، فأنكر ذلك، فأخرجنا له الصحف وأريناه بعينه، فاغتاظ مني وظن علىٰ حد فهمه بأني وراء هذه الأمور وتكلم بكلمات تنم عن التهديد.

ولما خرجنا لم أودعه ولم ألتفت إليه، ولما وصل الخبر إلىٰ عائلة الأتاسي عاتبوا نور الدين عتاباً شديداً.

الاستيلاء على ثانوية علي بن أبي طالب الخاصة:

وبعد قليل استولت الحكومة علىٰ ثانوية علي بن أبي طالب في تَلْدَوْ، لصاحبها محمد علي مشعل، وأتت بمدرسين من دار المعلمين، ومن هنا ومن هناك من المخابرات وليس هناك من سبب، إلا أن مدير التربية والتعليم (من بيت الجندي والمفتش من بيت الجندي وهما إسماعيليان)[1] زارا الثانوية فوجدا جهاز تدريس ليس عندهم مثله، كلهم من ذوي الاختصاص، وكلهم علىٰ قدم الجد والاستقامة، ومدرس اللغة

(١) خرج زعيم العائلة (الجندي) محمد عن الطائفة، وأسلم سياسيًا، إلا أن هذه العائلة انتقلت إلىٰ حزب البعث، فخرجت من تحت الدَّلف وقعدت تحت الميزاب.

الأجنبية ملتحي، وكذلك مدرس الرياضيات ومدرس الكيمياء والفيزياء، ومدرس الأدب العربي، وفيهم من تخرج من الأزهر.

(١٦) مدرسًا، يدهشون كل ناظر، وكلهم دعاة، ولو تفاوتوا في الإمكانات في هذا المضمار، وليس هناك موضوع إخوان مسلمين، إنما كان موضوع الإسلام المحض، وموضوع حزب البعث يحارب الإسلام.

وفي اليوم التالي الطلاب دخلوا الحصة الأولىٰ والثانية واستمعوا للمدرسين الجدد.

مدرس يلبس خاتم ذهب فقال له أحد الطلاب: أنت بدل محمد علي مشعل؟!.

ومدرس تكلم عن القومية العربية، فقال أحد الطلاب: أنت تقول: الكافر العربي أفضل من المسلم الباكستاني؟!

وبعد الحصتين امتنع الطلاب عن الدخول، وقامت المظاهرة العجيبة من المنطقة، وأغار علىٰ المدرسة أعداد كبيرة من الرجال والنساء والأطفال يغيرون بالحجارة.

وهذا لم يرتب، ولو أنفقنا مهما أنفقنا من الأموال وبذلنا من الجهود لا نستطيع أن نقيم هذه المظاهرة، ولكن الله أراد أن ينصر دينه.

وبقيت المدرسة شهرين بأيديهم، وعرضوا علىٰ المدرسين أن يعملوا، وأن المدرسة لهم، فكلهم أجابوا: المدرسة لمحمد علي مشعل، ونحن لا يحل لنا أخذها.

وفي يوم جاء رئيس الشعبة السياسية بحمص (محمد طلب هلال المكنىٰ أبو قصي) فقلت له: أنت مسلم؟ قال نعم. قلت: وكيف تستولون علىٰ ثانوية علي بن أبي طالب وهي مؤسسة إسلامية، وتتركون المدارس التبشيرية تملأ البلد؟ فوقع هذا الكلام منه موقعًا حسنًا، وقال: إني أمامك سأتصل بثابت بُرُّو (رئيسه في دمشق) وأكلمه هذا الكلام، وكانت النتيجة أن تغير الاتجاه.

وتوسط المفتي بدر الدين لنور الدين، وطلب مني أن أذهب إليه، وبعد كلمات تكلم بها المفتي اقتنعت بالذهاب إليه، وحملت إليه رسالة من المفتي يقول فيها كلاما عجيبًا: (إذا أنت أكرمت محمد علي مشعل أكرمت علماء حمص جميعًا، بل أكرمت أهالي حمص جميعًا).

والحقيقة استقبلني استقبالاً حاراً، وترك كرسيه وجلس إلىٰ جانبي، وقال: أعتذر عن الموقف السابق، فقلت: مادام قد تم الاعتذار قبلت، والمدرسة؟

قال: استولينا عليها. قلت: الرجوع إلىٰ الحق خير من التمادي في الباطل.

قال: رجعنا، واتصل بمحافظ حمص (النابلسي)، ورجعت إلىٰ حمص واجتمعت مع المحافظ وقدموا الاعتذار، ورجعت المدرسة.

وبعد مدة من الزمن ابتدعوا طريقة للاستيلاء علىٰ جميع المدارس الخاصة.

وهي: أن فرضوا عليها مديراً بالرغم أن صاحب المدرسة يحمل ما يؤهله للقيام بالإدارة والتدريس، وأرسلوا مدراء بعثيين أو علمانيين، وأحياناً ممن يظنون أنهم معهم في فكرتهم.

عودة إلى الحوادث زمن البعث

وكانت نتيجة هذه الحوادث سقوط عشرات القتلىٰ في حماة، وخرجت من حمص عندما حرق المسجد في حماة، وذهبت إلىٰ دمشق وبقيت (٥٥) يوماً، ومعي أبو إبراهيم النكدلي في بيت نزار الصباغ، وكان طالباً في جامعة دمشق، ثم رجعت إلىٰ حمص وبقيت أسبوعاً عند الشيخ عبد الخالق الحصني، وأسبوعاً عند الشيخ عبد الفتاح المسدي، ثم تدخل الشيخ طاهر الرئيس وبعض العلماء ورجعت إلىٰ الوضع الطبيعي.

وظهرت مشكلة كوهين وخلاصتها

رجل يهودي اسمه كوهين، انتحل اسم محمد أمين ثابت، وتعرف علىٰ أمين الحافظ عندما كان ملحقًا عسكريًا في البرازيل، فادعىٰ أنه سوري مغترب ثري، وبذخ أمامه المال، وتوطدت العلاقة بينهما، ويبدو أن كوهين عارف باللعبة الدولية، ولم يلبث أن وقع الانقلاب الذي أوصل البعثيين إلىٰ الحكم، وأصبح أمين الحافظ علىٰ رأس السلطة، وجاء إليه صديقه محمد أمين ثابت، فعرفه علىٰ القيادة، فارتبط بها بالليالي الحمراء والفجور، واتخذ من مكانه الذي يقيم فيه مركزاً للدعارة، ولاتصالاته مع اليهود، وصار علىٰ اطلاع تام علىٰ شئون الدولة وأخبار الجيش والجبهة.

والتقت الراشدات الإشارات اللاسلكية التي يُبُثُّها ذلك المركز، مركز محمد أمين ثابت، فداهم أحد المخابرات المركز، وهو لا يعرف الأمر، وانكشفت الخفايا وظهرت الفضائح وحوكم علنًا، واضطر المسئولون لإعدامه.

وكذلك قام النقيب بدر الدين جمعة بأعمال مع مشايخ حلب، عندما تولىٰ أمر مخابراتها، ولم يترك رذيلة إلا قام بها.

خلاصة عن نبي الصابونية:

شخص اسمه عبد القادر عوا – من يبرود (بلدة في القلمون شمالي دمشق)، كان شرطيًا (والشرطة كان يطلق عليها اسم الدَّرَك)، فتقاعد

وذهب إلىٰ الأرجنتين، بعد مدة جاء إلىٰ سورية، ثم جاء إلىٰ حمص، وفي شارع الحميدية شرقي جامع الدالاتي كانت هناك ساحات لبيع الحبوب التي تأتي من القرىٰ، فعرض نفسه علىٰ القرويين، وطلب أن يكون إمامـًا، وقد لبس قنبازاً وجاكيت، وعلىٰ رأسه عقال يشبه عقال الملك عبد العزيز رحمه الله.

فأخذه جماعة من الصابونـية، ونصبوه إمامـًا في مسجدهم، يؤذن ويقيم الصلاة ويخدم الناس ويخطب الجمعة، ويلقي الدروس علىٰ غفلة من العلماء.

بدأ بذكر الله، وأدخلهم في طريقة صوفية "النقشبندية"، وادعىٰ أن شيخه (طه أبو الورد) من عربين نقشبندي، ويظهر أنه انتحل هذه الطريقة كذبـًا وزوراً، وبعد أن تركزت الأمور معه بين الجهلة وأصبحوا يحبونه، صار يمطط القراءة، ويبكي في الصلاة، ويبكي جماعة في الصلاة، ويقول لهم: هو أضحك وأبكىٰ، إذن لابد أن يضحكوا بالصلاة أيضـًا.

ووصل الأمر بعد مدة إلىٰ أن قال: (شيخه أشيخ من عيسىٰ وموسىٰ، وهو أشيخ منه)، فادعىٰ النبوة، بل والرسالة، وألف كتابـًا أسماه (سفينة النجاة) قد ملئ بالهراء، من جملته:

"الصلاة فيها الرقص، وفيها الدنص، وفيها الضحك وفيها البكاء، وفيها النيك وفيها..."

وقال في علماء النحو: "ما قطعنا عن الله وأبعدنا عن الحقيقة والفهم إلا علماء النحو".

ولم يسمع علماء المسلمين بهذا إلا بعد فترة طويلة، وانتشرت دعوته في القرىٰ المجاورة، بل كان بعض العوائل في تلبيسة وفي الغجر وفي دار الكبيرة... ممن غشتهم دعوته.

فذهب الشيخ مصطفىٰ السباعي، والشيخ أبو السعود عبد السلام إلىٰ الصابونية وطلبا منه أن يقرأ أمامهما الفاتحة وشيئًا من القرآن، فلحن لحنًا بليغًا وبشعًا، فطلبا منه أن ينزل معهما ليعلماه، فذهب معهما إلىٰ حمص، وهرب من بين أيديهما، حيث ادعىٰ أنه محتاج إلىٰ المرحاض، فدخل المرحاض واتخذه وسيلة للهرب.

وتابع الشيخ مصطفىٰ السباعي وعلماء حمص موضوعه، حتىٰ فرضوا عليه إقامة جبرية في يبرود، فقام تلميذ من تلاميذه تركماني اسمه رجب، فسجل له فدانًا من الأرض في الصابونية، وبيتًا في الصابونية، وأخذ له ابنته وجهزها وزوجه إياها، وأصبح مواطنًا في الصابونية، والقانون لا يطوله.

فعاد إلىٰ الصابونية، وبمساعي الشيخ مصطفىٰ السباعي وعلماء حمص أصبح مقيماً في يبرود.

وجرت حوادث بسبب اختلاط المريدين والمريدات، وصلت إلىٰ حمص دعوىٰ بأحدها وهي:

أن شابا اعتدىٰ علىٰ فتاة فأزال بكارتها، وكان لها والدة وإخوة ثلاثة، اثنان منهم دخلا في الطريقة، والصغير لم يدخل، فاشتكت البنت لأمها فقالت لها: اسكتي هذا فعل القدرة، وشكت للأخ الكبير فكان جوابه كجواب أمه، وشكت للأخ الذي بعده فكان جوابه كجواب أمه وأخيه، ثم شكت للصغير فحمل السلاح وهدد، ثم جاء شاكياً للسلطة، فذكر الأمر أمامنا في بيت المفتي الشيخ بدر الدين أتاسي رحمه الله، وكان نور الدين أتاسي وزيراً للداخلية، وكان في الجلسة معنا " محمد طلب هلال" رئيس الشعبة السياسية بحمص، كان يكنىٰ (أبا قصي) وهو مسلم غيور لاحظت منه الطيب، فعرض علينا أن يأتي به من يبرود، فاستأذن من مدير المخابرات بدمشق (ثابت بُرُّو) أن يأتي به إلىٰ حمص، واختطفه من يبرود وأتىٰ به.

وقد اجتمعنا به في السجن سجن المخابرات، وناقشناه فكان ينكر كل أمرٍ يدان به، والأشياءُ التي لا يدان بها يُقِرُّ بها.

فنقلنا إلىٰ أبي قصي الصورة، فأركبه في السيارة، وأركب معه الشيخ علي الفلسطيني، ومر به علىٰ الصابونية يحلف علىٰ القرآن بأنه علىٰ باطل، والعلماء علىٰ حق، وبأن دعواه النبوة كذب وغير جائزة، وأن ... قد أوجعه في القبو ضرباً وإهانة، وكان يكذب نفسه في كل مكان يمر به أبو قصي وأمام أتباعه.

ثم عاد إلىٰ يبرود وبقي بها إلىٰ أن توفي، وبعد سنين أرادت زوجته الزواج من ابن عمها، وهو خليفته، وجاء ابن عمها فشكا لنا، وطلب مساعدتنا، فذهبت بنفسي إلىٰ قرية الصابونية لأول مرة، وتكلمت مع والدها فوعدني لأسبوع، وجئت بعد أسبوع، فهرب من وجهنا، وكاد الأمر ينتهي، وذلك لأنها زوجة نبي، ولا يجوز أن تتزوج، إلا أن الله أعان سبحانه ووفق الله للزواج، إلا أن ابن عمها لم يعد إلينا فيما بعد، وكان ما كان.

ولما توفىٰ قبر في يبرود، ونقل سراً ليلاً من يبرود إلىٰ الصابونية، ودفن في بيت من بيوت الصابونية، وبلط البيت ودهنت جدرانه، وفي كل عيد يجتمع عنده بعض أتباعه، والبيت مغلق (فيما أعلم).

ولا تزال آثار دعوته موجودة في الصابونية، والآن لا أدري وأنا أكتب ما هو مصير دعوة نبي الصابونية. حسبنا الله ونعم الوكيل.

كتائب محمد صلى الله عليه وسلم:

وتألفت " كتائب محمد" صلىٰ الله عليه وسلم، بإمرة عدنان المصري نظريـًا، وكان طيبـًا، إلا أن هناك مجموعة تسيره: بعض ضباط طرف جماعة عبد الكريم النحلاوي، ومنها جماعة دار الفكر، وفيها أناس طيبون، وبعض الناصريين، ودعا عدنان المصري إلىٰ لقاء في الجامع الأموي، وجاءت السلطة وعلىٰ رأسها النقيب سليم حاطوم الدرزي، وحاول اقتحام الجامع بالدبابات، وبدأ إطلاق الرصاص وسقط بعض القتلىٰ واعتقل المئات، وأبناء الدعوة الإسلامية لم يدخلوا في هذا الموضوع.

وكان الموجه في هذه المرحلة اللواء صلاح جديد من الطائفة النصيرية، وصار البعثيون يصفون بعضهم بعضـًا.

ووجه صلاح جديد المقدم عزت جديد، والنقيب سليم حاطوم، والملازم الأول يوسف القرصة بقواتهم إلىٰ أمين الحافظ، وجرىٰ تبادل إطلاق النار، وأخيراً استسلم أمين الحافظ واعتقل، ونصب أحمد الخطيب رئيسـًا للدولة، وليس له من الأمر شيء، والمحرك الحقيقي هو صلاح جديد، وبعد مدة صار نور الدين الأتاسي رئيس الدولة الصوري.

وأرسل صلاح جديد عبد الكريم الجندي ليضرب سليم حاطوم، وأخيراً قضىٰ علىٰ حاطوم وبدر جمعة.

ثامنا: الحكم الطائفي:

كان اللواء صلاح جديد هو الحاكم الفعلي لسورية، وكان رئيس الدولة الدكتور نور الدين الأتاسي صورة يحكم باسمها، ورئيس الوزراء يوسف زعين السلطة المنفذة للواء صلاح جديد، مع بعض التمريرات، وكذلك وزير الداخلية محمد رباح الطويل، وكلا الثلاثة يسمون مسلمين، نور الدين الأتاسي من حمص، ويوسف زعين من دير الزور، ومحمد رباح الطويل من اللاذقية.

وأما اللواء حافظ أسد فإنه وزير الدِّفاع، وقد قام بخدمات تؤهله للمكافأة، ويتمتع بذكاء وقوة تدبير، وقد رأىٰ في تصرفات صلاح جديد ومن معه ما لا يرتاح له، وعلىٰ رأيه وعلىٰ ما ظهر للناس كانت هناك انحرافات وميل للشيوعية كبير، وتصرفات لا دينية، وأمور كثيرة، واطلع علىٰ تخطيط يدل دلالة واضحة علىٰ استئثاره بالحكم، حيث إنه مسيطر علىٰ الجيش وعلىٰ الحزب، وخشي من وراء ذلك أن يتصرف تصرفات زيادة علىٰ المشاهد.

فقام حافظ بالحركة التصحيحية واعتقل صلاح جديد ونور الدين وزعين، ووضعهم في السجن واعتقل عزة جديد، وسيطر حافظ أسد علىٰ المراكز الحساسة، وكل من لم يوافق علىٰ الحركة التصحيحية أصبح رهن الاعتقال، أو خرج فاراً من سورية إلىٰ العراق أو أوروبا.

من الناحية الداخلية:

شكل "سرايا الدفاع "، وأوكل قيادتها إلىٰ رفعت شقيقه، وشكلت قوة أخرىٰ باسم المظليين، وسميت فيما بعد الوحدات الخاصة، وأوكل قيادتها إلىٰ الرائد "علي حيدر"، وعين "علي دوبا" رئاسة المخابرات العامة، وعين "محمد الخولي" رئاسة مخابرات الجيش، ووضع نائبًا له "عبد الله الأحمر"، ووزير الدفاع "مصطفىٰ طلاس"، ورئيس الأركان "حكمت الشِّهابي"، ورئيس الوزراء دومًا من المسلمين.

ومن الناحية الاجتماعية:

وجدت منظمات عمالية وطلابية (اتحاد الطلبة – الشبيبة – الطلائع)، ومنظمات نسائية (الاتحاد النسائي)، وبدأت تبث السموم، وتدعو إلىٰ الاختلاط والسفور والرحلات المشتركة، والمخيمات المشتركة، والدعوة إلىٰ الانحلال صريحة في المدارس والجامعات والنقابات.

وهكذا وصلت الطائفة النصيرية إلىٰ الحكم كاملاً عن طريق حزب البعث، وأصبح حافظ أسد رئيسًا للجمهورية.

زيارة الكويت والعراق والسعودية ولقاء الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي العام ١٩٧٣م ذهبت مع بعض علماء حمص (الشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ وصفي المسدي، والشيخ أبو السعود عبد السلام، والشيخ عبد الغفار الدروبي والشيخ عبد الفتاح المسدي، والقاضي

الشيخ أحمد قهوجي إلىٰ العراق، فنزلنا في معمل البرادات لآل الحافظ، وزرنا الأماكن المهمة، منها مسجد الإمام أبو حنيفة، ومسجد موسىٰ الكاظم، وزرنا كربلاء، وقبور آل البيت.

ثم ذهبنا إلىٰ الكويت ونزلنا ضيوفًا علىٰ الشيخ عبد الرحمن النظامي، وزرنا بعض الوجهاء، وحصلنا علىٰ تبرعات لجامع الفاروق في حمص.

ثم ذهبنا إلىٰ السعودية، وكان الملك فيصل هو ملك المملكة العربية السعودية، فنزلنا ضيوفًا علىٰ الشيخ علوي المالكي، ثم علىٰ السيد المنتصر الكتاني، وقابلنا الملك فيصل تلك المقابلة التاريخية المنتجة المثمرة رحمه الله تعالىٰ، وكان لا يتكلم إلا كلمات معدودة، وقال: إذا لم نقم بمثل هذه الأمور فلماذا نحن موجودون؟!

زيارة مسجد سَيِّدَنا موسى الكاظم:

دخلنا المسجد فوجدنا غرفًا محيطة بساحة المسجد من جميع الجهات، وسألنا عنها فقالوا: كانت للمتعة، ودخلنا القبة التي فيها القبر فوجدنا عدداً يطوفون حولها من النساء والرجال، فتألمنا جداً لأن الشيعة مسلمون موحدون.

وخرجنا من القبة فوجدنا شخصًا يعلو منبراً يبكي وينشد ويقول: قتلوه قتلوه عليهم لعنة الله (يعني سَيِّدَنا الحسين) فسررنا للكلمات، وذلك لأن الذين قتلوا سَيِّدَنا الحسين هم الزنادقة جماعة عبد الله بن سبأ، ليس فيهم

مسلم قطعـًا، وهم الذين كتبوا الرسائل بالبيعة ثم عند اللزوم نكلوا، وهم الذين قاتلوه وقاتلوا أهل البيت، هؤلاء الذين يشيعون بأنهم أحباب أهل البيت، وهم زنادقة، هم الذين قتلوا سَيِّدَنا الحسين عليهم لعنة الله، وقد هيأ الله سبحانه لقتلهم المختار الثقفي، فادعىٰ مثل دعوتهم وقتل الذين اشتركوا بدم الحسين، ثم ادعىٰ النبوة، وقتله الله علىٰ يد مصعب بن الزبير رضي الله عنهما.

وأما عبيد الله بن زياد عامله الله بما يستحق فقد أساء جداً. لكن لما جاءه قاتل الحسين برأس الحسين قال: أبشر برأس الحسين، قال: قاتلك الله، قتلت خير المسلمين أبـًا وأمـًا.

وأما المسلمون فهم بريئون من دم سَيِّدنا الحسين.

ولما وصل آل سَيِّدنا الحسين لدمشق، أنزلوهم في أحسن بيت في دمشق، وبقي بنو أمية أسبوعـًا كاملاً يبكون رجالاً ونساءً وأطفالاً حتىٰ يزيد، ولم توقد في بيوتهم نار حزنـًا علىٰ سَيِّدنا الحسين، وخرج أربعون من نساء بني أمية يشيعن بنات عمهن إلىٰ المدينة المنورة.

ومن الغريب الذي يدهش أن صدام حسين أعلن بأن كل من يعمل نكاح المتعة فإنه يعدم (يتعرض لعقوبة الإعدام).

ومن أعجب العجاب أن بابًا من الساحة مفتوح علىٰ مسجد أبي يوسف، وقد دخلنا منه إلىٰ مسجد أبي يوسف، وكل من معنا شعر بأنه انتقل من النار إلىٰ الجنة، بدون كلام.

وهنا ينبغي أن نقف وقفة مع الدعاة:

١. يجب أن نعمل بكل ما نستطيع علىٰ إقناع الشيعة بخطأ فهمهم في هذه المسألة وغيرها، فإنهم موحدون، ولكنهم وقعوا في أخطاء جسيمة، بسبب ما وصل إليهم من الأخبار المزيفة الكاذبة المفتراة، ولذا فإن إخوانهم أهل السنة والجماعة يبكون عليهم ويتمنون لهم الخير.

٢. يجب أن نعمل علىٰ تصحيح التاريخ وفق الأسانيد الصحيحة، حتىٰ نخلص من دس الدَّسَّاسِين وتزييف المُزيِّفين.

٣. يجب أن نفتح صدورنا لهم ويفتحوا صدورهم لنا، وإلا فالعاقبة وخيمة، واستغل الأمر بعض الدعاة الأشرار، فزادوا في الحقد، وبالغوا في البغضاء بشكل يصعب جداً تلافيه.

الدستور والاعتقال:

وقد أعلن حافظ أسد الدستور ١٩٧٣م، وطلب من الناس الاستفتاء عليه، وأعطاهم الحرية بمناقشته، والدستور المعلن لا ينص علىٰ دين الدولة الإسلام، ولا ينص علىٰ محاربة الإلحاد، ولا علىٰ حماية الأخلاق.

فأما الإخوان المسلمون فلم يتدخلوا في هذا الموضوع، وتركوه للعلماء في سورية.

[موقف العلماء]

وقد التقىٰ العلماء وتحادثوا ماذا يعملون؟

فعلماء حلب وقعوا علىٰ عريضة لتقدم للرئيس، وقع عليها أربعة عشر عالمـًا، إلا أنها لم تكن واضحة، فرفضت من قبل علماء حمص، وعلماء حماة، وعلماء دمشق، وقد حملتها إلىٰ الشيخ حسن حبنكة رحمه الله تعالىٰ، وبقيت عنده، وذلك لأن العريضة لم يذكر فيها المطالبة بدين الدولة، ورفضت من قبل الجميع، وبقيت عند الشيخ حسن حبنكة.

وكثرت اللقاءات من قبل العلماء بأن هذا لا يجوز أن يترك، وما دام السلطة سمحت بالمناقشة فلا بد من ذلك، وتم الاتفاق علىٰ بيان الرأي بمذكرة ترفع للرئيس، ولا يصدر بيان لأن هذا ربما عرضهم لمخالفة لا يسمح بها القانون، وتبرر للدولة الوقوع بهم.

وكانت هناك ليلة تقام فيها المحاضرات من قبل جمعية العلماء، واتفق علىٰ أن تستمر في مسجد الدعوة (جامع جورة الشياح الذي فيه الإمام والخطيب الشيخ عبد الغفار الدروبي)، وكلفت من قبل العلماء أن ألقي المحاضرات بالتسلسل في ذلك الوقت، مع اشتراك بعض العلماء.

وكان الموضوع: متىٰ يكون البيت عامراً؟ ومتىٰ يكون خراباً؟ ومتىٰ تكون المدرسة عامرة؟ ومتىٰ تكون خراباً؟ ومتىٰ يكون المسجد عامراً؟ ومتىٰ يكون خراباً؟ ومتىٰ تكون الدولة عامرة؟ ومتىٰ تكون خراباً؟

وفي هذه الفقرة الأخيرة كان الموضوع الحالي، وهو موضوع الدستور، وأنه أساسي في عمار الدولة.

وقلت باسم العلماء:

لا نريد ثورة ولا فتنة ولا مظاهرة، بل نعلن رأينا نحن علماء المسلمين بأنه يجب أن يوضع في الدستور: دين الدولة الإسلام، والفقه مصدر التشريع، وينص علىٰ محاربة الإلحاد، وعلىٰ المحافظة علىٰ الأخلاق، وإذا لم يوضع هذا فإنا نعلن المقاطعة فقط، وعلماء سورية كلهم مجمعون علىٰ هذا، وقلت في المحاضرة: هذا رأينا ورأي العلماء في كل سورية، وكان هذا يوم الثلاثاء مساء حسب العادة في المحاضرة (٣٠ كانون الثاني ١٩٧٣م الموافق ٢٤ ذي الحجة ١٣٩٢ هـ).

وبعدها حصل اجتماع في مجلس مفتي حمص الشيخ طيب أتاسي، حضره بعض أعضاء جمعية علماء حمص: الشيخ وصفي المسدي، والشيخ أبو السعود عبد السلام، والشيخ عبد الفتاح المسدي، والشيخ عبد الغفار الدروبي، ومحمد علي مشعل، ورئيس المخابرات غازي كنعان، ورئيس الشعبة السياسية مصطفىٰ أيوب، ورئيس الحزب، ورئيس الشرطة، وحضر اللقاء أيضـًا الأستاذ عبد المجيد الطرابلسي، وذكر لي: (أن المسؤولين محمرة عيونهم يريدون الكيد لي).

وصار الحديث حول الدستور، وحصلت مناقشة، وانتصر الحق، واقتنع الجميع برأينا، وتم الاتفاق علىٰ رفع النتائج من قبل المحافظ والمسئولين للرئيس حافظ أسد، وعلىٰ أن نكتب نحن العلماء أيضـًا مذكرة بالخلاصة، ونرفعها للرئيس، وبقيت المسودة في جيبي، والمسئولين أخذوا أيضـًا مسودة لكتابة مضمونها إلىٰ الرئيس، واكتفىٰ العلماء بذلك.

وكان هذا كله يوم الخميس: (١ شباط ١٩٧٣ م الموافق ٢٦ ذي الحجة ١٣٩٢هـ) في بيت مفتي حمص الشيخ طيب أتاسي.

ودعا المفتي المحافظ وابن خالته من المعرة –وهو من العلماء وكان ضيفاً علىٰ المحافظ– وجميع الموجودين لطعام الغداء يوم الجمعة (٢ شباط ١٩٧٣م).

[الاعتقال]

وليلة الجمعة (٢شباط ١٩٧٣ م) نمت في حمص والمخابرات ذهبت تسأل عني في تَلْدَوْ، ثم رجعتْ لحمص، وسألت كل من بلغها أني أنام عندهم.

وعند الصباح بلغنا الأمر، فذهبنا مع المفتي والشيخ وصفي للمحافظ (في منزله)، وذكرنا له ذلك فتعجَّب وقال: ليس هذا بمعقول أبداً، وذهبتُ مع الشيخ وصفي لصلاة الجمعة في مسجد الشيخ جميل مدور، حيث توفيت أمه، فألقىٰ خطبة الجمعة الشيخ وصفي، وكنا مدعوين جميعاً للغداء عند سماحة المفتي الشيخ طيب أتاسي.

وفي طريقنا أنا والشيخ وصفي إلىٰ دار المفتي وقفت سيارة إلىٰ جانبنا، ونزل منها شخصان، قال أحدهما: أنا فلان، والمحافظ يقول: أنتم مدعوون للغداء عند سماحة المفتي، والمحافظ يريدك خمس دقائق، وتأتي أنت وهو إلىٰ الدعوة عند المفتي، وذهبت معهم، وصارت خمس دقائق سنتين كاملتين، ذهبوا بي إلىٰ مركز المخابرات، ومنه إلىٰ دمشق إلىٰ

سجن الشيخ حسن، وبعد التعذيب أخذت إلىٰ سجن المزة، وبقيت سنتين من (٧٣) إلىٰ (٧٥)، ثمانية أشهر ونصف بالمنفردة، ثم بقية المدة بالمهجع، وقسماً أخيراً من السنتين في مستشفىٰ سجن المزة.

[البيان المزور]

ولما خرجت إلىٰ المهجع وجدت أشخاصاً فعجبت من وجودهم، وعلمت أخيراً أن الشيخ سعيد حَوَّا ذكر أسماءهم، ويجب أن نذكر أن الشيخ سعيد حَوَّا أخرج بياناً باسم العلماء، ووقع عن علماء حمص وعن علماء حلب وعن علماء دمشق وعن علماء حماة، ولكن لم يوقع عن نفسه، ومن العجيب أن يعمل هذا العمل دون الرجوع إلىٰ العلماء، ووقع عني دون أن يكون لي أي علم، وأنا أُعْلَنتُ علىٰ الملأ بأنا نحن العلماء لا نكتب بياناً ولا منشوراً.

وقد وقع البيان بيد السلطة، فكان من جملة أسباب اعتقالي، لكوني لم أُسْأَلْ إلا عنه.

وقد أتي بالشيخ محمد الشماع القاضي للمقابلة معي، لكونه ذكر أنه رأىٰ البيان معي، وقد حُملت لأني لا أستطيع المشي، وقابلته، وكان في حالة يرثىٰ لها من التعذيب.

فقلت له: إن المذكرة التي أريتُك إياها قد رُفِضَتْ من علماء حمص وعلماء دمشق وهي موجودة عند الشيخ حسن حبنكة، والآن اتصلوا به هاتفيـًا فقد تركتها عنده ونحن لا علاقة لنا بالبيان، ولم نوقع عليه البتة.

ولما التقيت بالشيخ سعيد حَوَّا في السجن وسألته عن البيان قال: أسمعوني صوتك، وأنك ذكرت كل شيء، فقلت: عجيب يا شيخ سعيد أن تقول هذا؟ أو تسمع هذا؟ وكيف وقعت عني وعن سائر العلماء زوراً بدون رأيي، ثم تذكر أسماء وتأتي بها إلىٰ السجن، ولمَ لم تذكر اسمك في أسماء العلماء الموقعين علىٰ البيان؟

فقال: أنا لست من العلماء.

ولما سألته: لم ذكر اسمي؟

قال: لا يصدقونني إذا لم أكتب اسمك.

علىٰ كل رحمه الله لقد كان خطؤه كبيراً في هذا الموضوع، وجر نفسه والناس إلىٰ السجن بدون ذنب، فأنا أشهد أن لا علاقة لكل الموجودين في السجن في البيان، وأن البيان باسم العلماء، والعلماء لم يوقعوه، لا علماء حمص ولا علماء حلب ولا علماء دمشق، ولم يوافقوا عليه (حسبنا الله ونعم الوكيل).

هنا لا بد من توضيح نقطة بشأن البيان المزور:

جاءتنا مذكرة من حلب فرفضها علماء حمص، وقد كُلِّفْتُ مع شخص من قبل جمعية العلماء في حمص بأن أعرض هذه المذكرة علىٰ علماء دمشق، وقد عرضتها علىٰ علماء دمشق، فكان موقفهم بالإجماع رفضها، وتركتها عند الشيخ حسن حبنكة.

وربما كان موقفي هذا نجىٰ علماء دمشق وعلماء حمص وعلماء حلب من الاعتقال، واكتفي باعتقالي فقط مع ظهور ووضوح الأمر ومعرفة المسئولين بحمص.

ومن العجيب أن "نشأة السقا" ينقل عن إخوانه عن بعض المخبرين أني ذكرت اسمه.

وقد قلت لهم شفهياً: إني لم أسأل عن شيء من هذا القبيل، وإنما كان السؤال عن البيان واعتقالي من أجل البيان، ولا علاقة للجماعة في البيان أصلاً، بل ولا علاقة لجماعة العلماء في حمص وحلب ودمشق في البيان.

وربما لم يقتنع بكلامي، وبقي مصراً يتابع الاتهام عفا الله عنه، وهذا من جملة المصائب، ولكن الزبد يذهب جفاء، والمهم أنه يصدق المخبرين أكثر مما يصدق أخاه، والأهواء تفعل مثل هذا وأكثر.

ويجب أن يكون الهوىٰ تابعـًا لما جاء به النبي صلىٰ الله عليه وسلم لا متبوعـًا، وقد قال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعا لما جئت به"، والهوىٰ المتبع أشد من كل شر، وما تحت ظل السماء إله يعبد أشد عند الله من هوىٰ متبع.

عودة إلى موضوع السجن:

بقيت أنا في السجن ثمانية أشهر ونصف في المنفردة، ثم خرجت إلىٰ المهجع، ووجدت مجموعة عجيبة في المهجع السفلي، وجدت من حمص فقط: "نشأة السقا".

ومن حماة: الحاج بديع عدي، وعبد الرزاق شيخ بكرو، وفايز شيخ الزور، والحاج سليم الضيخ، ومصطفىٰ حَوَّا، ومدرس ثانوية يحمل إجازة في الشريعة الشيخ إبراهيم.

ومن اللاذقية: إبراهيم شيخ خميس، وعدنان سعيد.

ومن دمشق: يوجد واحد شاب نسيت اسمه، ولا يوجد أحد من حلب.

وعدداً من الناصريين، منهم من كان محافظـًا لبانياس أو دير الزور، ومنهم من كان رائداً ومدرس لغة عربية.

ومن البعثيين رئيس اتحاد الطلبة.

وبدأنا الأذان والصلاة جماعة، ثم عملنا دروسـًا صباحية في العقيدة، وفي العبادة، وفي السيرة، ودروسـًا مسائية أيضـًا، ثم عملنا درسـًا في اللغة

العربية والبلاغة والأدب العربي، ثم عملنا درساً في اللغة الإنجليزية، وهناك حلقات القرآن الكريم يقوم بها الشيخ فائز والشيخ عبد الرزاق، ودمنا علىٰ ذلك قريباً من سنة، فأخرج منا عدد، وبقي آخرون واجتمع الجميع في مهجع واحد بعد أن كانوا في مهجعين، وضم المهجع العلوي إلينا وفيه الشيخ سعيد حَوَّا وبعض الأفاضل، ولذا فإن الوضع في المهجع قد اختل.

ولكن تجلدنا وصبرنا وصارت الأمور تجري بانتظام، وقد حاولت أن أقدم الشيخ سعيد ولم يستجب لي إلا قليلاً، وبقينا مجتمعين قريباً من عشرة أشهر.

وأصبت بنزيفٍ كما أصيب بديع عدي والحاج سليم الضيخ، وقد أصبحنا في مستشفىٰ سجن المزة أربعة، ونحن في المهجع، وقد التقينا مع عزة جديد وأمثاله، حيث لهم غرفة مخصصة، فهم جنس رفيع المستوىٰ، وكان عزة جديد يتحين الفرص للسلام علي.

ومرة نزلنا إلىٰ التصوير سوية، فعرفت ثقافته الواسعة حتىٰ الإسلامية، وقد طالع عدداً من الكتب الإسلامية وقد لمست قربه من الإسلام.

وتخرج من مدرسة مستشفىٰ السجن كثيرون، فكانوا يدخلون إلىٰ المهجع فيحضرون الدروس والصلاة بجماعة، ويقرءون القرآن، منهم

حلاق للنساء، وقد تخرج من معهد صهيوني للحلاقة في ألمانيا، وذكر أن جميع حلاقي النساء متخرجون من هذا المعهد، وأن زوجات الضباط عنده لا يَرْضَيْنَ إلا أن يضع رؤوسهن بحضنه، ويرتب الشعر (إنا لله وإنا إليه راجعون)، وقد أصبح عندنا في السجن مؤذنًا ونسميه بلالنا، وكان يصغي إلىٰ الدروس.

تعذيب لا يطاق:

وكان التحقيق عن البيان الذي صدر باسم العلماء، ولكن تعذيبٌ لا يُطاق لأقر بالبيان، وكان الدم يخرج من رجلي لكن اللذة بالعذاب لم يمر علي أجمل منها ولا ألذ، وبالمنفردة ثمانية أشهر ونصفًا، والبيان لا علاقة لي به (صدر في حماة من قبل الشيخ سعيد حَوَّا، وهو بيان تافه، وقع الشيخ سعيد عن علماء حمص وعن علماء دمشق وعن علماء حلب دون أن يكون لهم أي علم، وقد ذكر توقيعي في جملة تواقيع علماء حمص ولم يذكر اسمه هو ولا توقيعه)، ولما عاتبته علىٰ ذلك قال: إذا لم أذكر اسمك لا يُصدَّق البيان.

ولم أسأل عن شيءٍ غير البيان، وقد حصلت مقابلة مع القاضي محمد الشماع حيث جيء به بآخر نَفَس، وحُمِلْتُ علىٰ الظهر حتىٰ قابلته وذكرت له أن البيان الذي كان معي مرفوضٌ من قبل الجميع، وأنه موجود عند

الشيخ حسن حبنكة ولا علاقة له بهذا الموضوع، فكان هذا تبرئة له وأُخْرِجَ من السجن فيما بعد.

والبيان (المقصود هنا) هو مذكرة جاءت من حلب وعليها تواقيع بعض الأفاضل، ولم يذكر فيها دين الدولة الإسلام، فرُفِضَتْ من قبل الجميع وبقيت عند الشيخ حسن حبنكة.

وفترة السجن كانت عظيمة جداً، أيام التعذيب أهنأ الأيام وأسعدها – لا أعادها الله – ولا يوجد لذة مثلها، وهي أسعد أيام حياتي، المنفردة صلة بالله تفوق الوصف، ومشاهدات عجيبة، وحفظ للقرآن الكريم بشهرين ونصف، ويعاد القرآن من قبلي ختمتين في خمسة أيام بدون فتح المصحف، ودامت هذه ثمانية أشهر ونصفاً، لا يسمح لأحد بأن يراني، وعند خروجي ينبغي أن تغلق جميع المنافذ حتىٰ لا يراني أحدٌ، ولكن شاهدت الذين قتلوا "محمد عمران" وكانت الزنزانة التي هم فيها إلىٰ جانب زنزانة الشيخ سعيد حَوَّا.

وعندما أخرجت إلىٰ المهجع وجدت أناساً لا علم لي بأحد منهم، ناصريون، إخوان مسلمون، بعثي (رئيس اتحاد الطلبة يومئذ)، ومتدينون.

وكانت النقمة علىٰ الشيخ سعيد حَوَّا كبيرة من الحمويين، حيث إنه جرهم إلىٰ السجن، وأكبر ظني لم يعودوا إلىٰ التنظيم يومها، وأذكر منهم

عبد الرزاق الشيخ بكرو، وقد سألته: كيف ذكر أسماء كل الإدارات التي تتصل به فقال: قالوا لي بأنك حكيت كل شيء، ولذا ذكرت أسماء هؤلاء.

فقلت له: أصلحك الله يا شيخ سعيد أنا لم أسأل أبداً عن الإخوان المسلمين، فالشيخ سعيد رحمه الله ارتكب خطيئة في حق العلماء كانت نتيجتها سجني، وارتكب خطيئة في حق الذين ذكر أسماءهم وليس لهم علاقة بأي شيء، وجرهم إلىٰ السجون، وبعضهم سجن أربع سنوات.

أقمت دروسًا صباحية ومسائية، (عقيدة، فقه، عبادات، أخلاق، معاملات، لغة عربية).

الناصريون إلا واحداً قالوا: الحمد لله الذي سجننا لأنا لم نكن نعرف ديننا، وكان البعثي يقول: هو مستعد أن يبقىٰ في السجن خمسة عشر عامًا دون انقطاع مع محمد علي مشعل.

الإخوان المسلمون والمتدينون كانوا سعداء جداً في هذه الدروس، بعد سنة تقريبًا أخرج عدد من المساجين، وبقي النصف، يعني مهجعًا من مهجعين، وصار الاجتماع في المهجع، بقايا الإخوان المسلمين والمتدينين والناصريين، واختلف في الوضع في المهجع عما كان عليه سابقًا، لوجود المنافسة الخفية التي لا يليق ذكرها، لأنه قد اجتمع من

كانوا في المهجع العلوي مع السفلي، إلا أن الأمور حسنة جداً، والدروس بقيت.

وقبيل تمام السنتين بشهر أو أكثر حصل معي نزيف فأسرعوا بي إلىٰ المستشفىٰ[1]، وبقينا هناك في مدرسة يتخرج منها كل يوم أو كل أسبوع من يتخرج تائباً صالحاً، كما سيأتي.

وبعد سنتين ٢ شباط ١٩٧٥م أُخْرِجتُ من السجن واعتُذِر مني، وعينت مدرساً عاماً في الجامع الكبير في حمص، من قبل وزارة الداخلية، والراتب يُقْبَضُ من المحافظة، مثل كل المدرسين العاملين في مساجد البلد.

وكان وصولي لتلدو فرحة عظيمة، وصلت بالليل والمطر نازل وزحف معظم أهل القرية إليّ، وبقيت مدة طويلة أستقبل الزائرين من العلماء والعامة من كل المحافظات. وكان ذلك تعبيرا عن وحدة الصف والهدف.

(١) فكان اللقاء مع عزت جديد وكان لهذا اللقاء أثر كبير في انتصار الدعوة.

الخروج إلى المملكة العربية السعودية:

طلب مني بعض أصحابي الحريصين عليّ خوفا عليّ أن أتعاقد من بعثة الجامعة، وخرجت بترخيص رسمي، خرجت من سورية علىٰ المملكة متعاقداً مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٧٨/ ١٩٧٩م وبقيت في تبوك شهرين، جاء الأمر بالعودة إلىٰ سورية، فرَجَعْتُ، وعاملني الدكتور عبد الله التركي -حفظه الله- وكان مدير الجامعة معاملة كريمة، فسمح لي بالعودة دون أي خسارة أو جزاء.

وفي العام التالي ٧٩/ ١٩٨٠م تم التعاقد مع الجامعة نفسها، للتدريس في المدينة المنورة وكان في لجنة التعاقد الشيخ حميد الحازمي حفظه الله، ولما وصلت إلىٰ المدينة كان الشيخ حميد الحازمي مديراً للمعهد العلمي، ومديراً للمعهد العالي للدعوة الإسلامية التابعين لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وكان الذي يقوم بإدارة المعهد العالي عمليـًا الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر، فباتفاق الشيخ الدكتور خليل مع الشيخ حميد كنت أدرس صباحـًا في المعهد العلمي، ومساء في المعهد العالي (ماجستير ودكتوراة) طوال مدة التعاقد. وكانا في بناء واحد ثم انتقل المعهد العالي إلىٰ مكان قريب، فبقيت أدرس ثلاثة عشر عاما.

وكنت أعطي حديثًا قبل صلاة الظهر عشر دقائق في مسجد المعهد العلمي بحضرة جميع الطلاب والأساتذة طوال المدة.

مدير المعهد الشيخ حميد الحازمي إنسان فاضل لطيف، إداري حكيم حازم، متواضع لم يشعر المدرسون يوما من الأيام منه بتعالٍ.

نائب مدير المعهد: الشيخ دخيل الله خليفة، أيضًا من النوع الطيب الكريم.

ومن الأساتذة: الشيخ عليان الحازمي، والشيخ عودة، والشيخ ثنيان، والأستاذ عبد اللطيف بارودي، والشيخ سليمان الشايع، والأستاذ محمد.

وبعد مدة أصبح الشيخ عبد الله الرحيلي مديرا للمعهد العالي، وانفصل المعهد العالي عن المعهد العلمي، وأصبح في طريق المطار.

وكنتُ أُلْقِي محاضرات في المعهد العالي، وفي المدة الأخيرة كان الشيخ أبو الفتح بيانوني من البارزين في المعهد، وكان هناك مدرسون علماء كرام: الدكتور أحمد خراط، ومن السودان: أبو قتادة الدكتور محمد عثمان صالح، وكان هناك محاضرون يُدْعَوْنَ للجامعة الإسلامية أمثال محمد قطب ومحمد المبارك، ومحاضرون يُدْعَوْنَ لإلقاء محاضرات في المعهد العالي مثل الشيخ مصطفىٰ الزرقا.

ولما أقمت في المدينة المنورة كانت حلقات العلم مستمرة بعد العشاء، وعند الشيخ عبد الجليل المرشد رحمه الله. ولما انتقلت إلىٰ جدة حلقات العلم بقيت مستمرة في المدينة مساء الأربعاء والخميس وأصبحت الحلقات في جدة مساء السبت ومساء الإثنين ومساء الثلاثاء. وأما مساء الأحد فهو في مكة.

ورخص لي في التدريس بالحرم النبوي من قبل العالم المسئول شيخ الحرم، وقد درست مدة غير طويلة في الحرم وكان يجتمع علىٰ الدرس أعداد كبيرة جدا وخاصة في أيام الحج.

جماعة الإخوان

ركبت في القطار من حمص إلىٰ (حرب نفسي) محطة في نصف الطريق بين حمص وحماة، فالتقيت مع الشيخ محمد الحامد، وتحادثنا في أحوال المسلمين، فسألني: هل انتسبت للإخوان المسلمين؟ فقلت: لا. قال: يجب أن تسارع إلىٰ الانتساب والانضمام مباشرة ومبايعة الدكتور السباعي، وهذا من أهم الأمور، لأن الإسلام لا تقوم كيانه إلا بالجماعة، ولأن الأحزاب الوطنية تحتاج إلىٰ من يرشدها للطريق الصحيح. لذا سارعت وانضممت وبايعت، وأصبحت في صميم الجماعة.

وكان سروري باللقاء مع الدكتور السباعي (الشيخ مصطفىٰ السباعي) عظيما جدا، ولقائي مع سائر الأحباب كذلك، فكان همنا واهتمامنا العمل للإسلام والنهوض بالمسلمين. وفي تلك الأوقات كان المعهد العربي الإسلامي قلعة من قلاع الإسلام تخرج منه أعداد ممن أصبحوا فيما بعد مدرسين في الجامعين ومعلمين في المدارس الإعدادية والثانوية، وقسم كبير أصبحوا موظفين في وظائف ذات أهمية في المجتمع.

وقد هيأ الله لنا الأسباب فأخذ الأستاذ السيد محمد طيب خوجة ابن شيخ البلد الشيخ عبد القادر خوجة ومرجع المسلمين عامة والمثقفين بل والعلماء أيضا: رخصة في إنشاء مدرسة خاصة ثانوية اسمها ثانوية عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حمص، وأخذت رخصة بإنشاء ثانوية علي بن أبي طالب

ﷺ في تلدو. وكان لهاتين الثانويتين نشاط عظيم جداً. وهيأ الله لها مدرسين أكثرهم من الدعاة إلىٰ الله وتخرج منها أعداد كبيرة أصبحوا موظفين ومنهم أصبحوا مدرسين وموجهين بل ودعاة أيضا.

وكنت رئيس مركز الجماعة في حمص ثم عضو مجلس الشورىٰ ثم رئيس مجلس الشورىٰ وكنت رئيس محكمة الجماعة حيث يذكر فيها ما لا يذكر في المحاكم العامة، وخاصة من أجل المناقشات الإسلامية.

[الجماعة جماعتين]

يذكر أن الجماعة كانت منقسمة إلىٰ جماعتين، وبعد الانقسام حصلت بلبلة كبيرة، اتفق الجميع علىٰ دعوة الهيئة التأسيسية، وإعادة انتخاب المراقب العام، وكلف الدكتور حسن هويدي، ومحمد علي مشعل، وبديع عدي، ومحمد طيب خوجة، ورامي علواني بالدعوة للانتخابات، وتم الاجتماع، ونجح الأستاذ عصام العطار مراقباً عاماً[1].

(١) الأستاذ عصام العطار من أكبر الدعاة وأفصحهم تعبيراً عن الدعوة، وأسلوبه في الدعوة شيق، ويجتمع عليه المسلمون في المحاضرات. وقد جمع من الفصاحة والبلاغة وحسن التعبير ما جعل المثقفين يحرصون علىٰ سماع المحاضرات. وتأثيره في المجتمع مضرب المثل، وإخلاصه بادٍ علىٰ تعبيره وأسلوبه. وكم من أشخاص اهتدوا بأسلوبه وصفته. وبالاختصار هو أعجوبة أعطاه الله ومنحه ما يدهش ويجذب نحو الإسلام ونحو

وكان في الجناح الثاني الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ سعيد حوىٰ، ولذا فإنهم اتصلوا بالتنظيم العالمي وانضموا إليه، بينما الأستاذ عصام العطار لم يرض بذلك، لأن له بعض الملاحظات، ويريد إبداءها حتىٰ يوافقوا عليها.

وبذلك أصبحت الجماعة الشرعية جماعة الشيخ عبد الفتاح وسعيد حوا علىٰ حسب دعواهم، بينما الجماعة الشرعية الحقيقية أصبحت غير شرعية.

وقد فهمت أن الحجة الشرعية التي دعت الشيخ عبد الفتاح للانفصال أن يتخلصوا من عصام العطار، حيث إنه مع زهير شاويش، وزهير مع الشيخ ناصر الدين الألباني، ولعل له حججًا أخرىٰ.

علىٰ كل فقد أصبح الإخوان المسلمون في سوريا جماعتين:

- جماعة الشيخ عبد الفتاح ومعظم الحلبية، والحمويين، وحسان الوفائي، وفوزي التدمري، وحسان الترجمان، ومن معهم من حمص

الأخلاق ونحو صلاح القلوب ونحو صلاح المجتمع من كل النواحي. وأسأل الله أن يكرمه ويحوطه بعنايته ورعايته.

ودمشق، ومن اللاذقية عدنان سعيد ... وصارت الجماعة فيما بعد لعدنان سعد الدين.

- وجماعة الأستاذ عصام في دمشق: زهير الشاويش[1]، وعمر عودة الخطيب ومن معه، وأسامة عربي كاتبي، وفي حمص محمد علي مشعل، وعبد الإله شربك، وعبد الكافي الأبرش، والشيخ عبد الباقي رمضون، وأبو نزار بيطار، وأبو حيدر.

وبقي هذا الانشقاق حتىٰ تمت الوحدة بين الجماعتين، وقبل الوحدة وضعت خطة عسكرية بتاريخ (٧/ ٧/ ١٩٧٩م) أي قبل اتخاذ قرار المعركة بشهرين، ولا علاقة لجماعة الأستاذ عصام بالقرار ولا بالخطة، ولما تمت الوحدة خضعوا للواقع.

وضع جماعة الإخوان في السعودية:

بمجرد وصولي إلىٰ السعودية تم الاتفاق علىٰ تعييني مسئولاً عن المركز في المدينة المنورة، والدكتور حسن هويدي المراقب العام، وكنا

(١) وكان له مكتب فيه عدد من الدعاة، وهو شبيه بمركز لتخريج الدعاة، وكان حفظه الله حريصا علىٰ الدعوة وجهوده ونشاطه معروف مشهور.

نحيا الأخوة الإسلامية محبةً وألفةً وتعاونـًا وفي ضيافة المملكة علىٰ أحسن حال.

وأحوال الإخوة في عمان وبغداد واليمن ودول الخليج كلهم يعيشون الأخوة، والدول المضيفة تحترمنا وتكرمنا، حتىٰ صارت حرب الخليج آب ١٩٩٠م واستحل صدام الكويت، فاختلت الموازين عندنا في المملكة، وأصبحنا نعاني من جرَّاءِ تصريحات البعض... ولعله في المستقبل القريب تتعدل الأمور إن شاء الله.

موقف الجماعة من حوادث سورية:

الجماعة ليس من خَطِّها ومنهجها ما جرىٰ، وإنما التي ابتدأت الطليعةُ وقامت بأعمال دون فتوىٰ، وجرَّت الجماعات كلها للدخول في الحوادث: الصوفية، وعلىٰ رأسهم الشيخ عبد القادر عيسىٰ، وجماعة الهدىٰ وعلىٰ رأسهم الشيخ أبو النصر بيانوني، وجماعة زيد من دون الأشخاص الكبار مثل الشيخ محمد عوض.

والجماعة منقسمة: قسم حلب وقسم دمشق، فقسم حلب انجرَّ ودخل بدون الاستعداد المطلوب، وفي دمشق لم يدخل قطعـًا إلا الأستاذ عصام العطار، كتب له عدنان عقلة: سيدي الوالد عندنا كذا، ولم يكن لجماعة الأستاذ عصام العطار أي صلة بالعمل المسلح، إلا أن عدنان عقلة خدع الأستاذ عصام بأنه يملك كذا وكذا، فخطب تلك الخطبة الرنانة، ومجلس

الشورىٰ مجتمع يقرر عدم الدخول في المعركة، وعوتب عليها من قبل القيادة ومجلس الشورىٰ، ولم يَعُدْ إلىٰ مثلها، إلا أنه بقي أثر هذا التصريح.

ولما تمت الوحدة بين الأطراف الثلاثة:

١. جماعة عصام ويطلق عليها جماعة دمشق.

٢. جماعة الشيخ عبد الفتاح، وكان المراقب العام عدنان سعد الدين، ويطلق عليها جماعة حلب.

٣. جماعة الطليعة.

وانتخب الدكتور حسن هويدي مراقباً عاماً بالإجماع، اطمأن الجميع لدينه وفقهه ووعيه، وعدنان سعد الدين نائبه، والدكتور محمد هواري أمين سر القيادة[1].

---

(١) من الأشخاص الذين لهم قدم وشأن في الدعوة الدكتور محمد هواري. ومهما تحدثت عنه فإني مقصر، فهو من الذين وهبوا أنفسهم وجهدهم وأموالهم في سبيل الله. ويكفي أن أقول: هو علىٰ قدم قادة الدعوة الأستاذ عصام العطار وإخوانه.

وأسأل الله سبحانه أن يكون جميع الدعاة محاطين بكرم الله ورحمته في حياتهم وبعد مماتهم. وأسأله سبحانه أن يغفر لي ولهم ويجمعنا تحت لواء خاتم المرسلين والنبيين وإمام المتقين، وأفضل مخلوق لرب العالمين، مرسل للإنس وللجن جميعاً، وهو رسول الله للملائكة رسالة تشريف لا رسالة تكليف لأنهم معصومون، عليه الصلاة والسلام وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين والتابعين وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم

ولم يلبث أن انفصل الدكتور محمد هواري وسافر إلىٰ ألمانيا ولم يَعُد.

وتبعه أبو سليم، وانفصل من الطليعة عدنان عقلة، ولم يبق إلا عادل فارس و... .

وتألفت الجبهة الإسلامية، ولم تطل كثيراً لأنها لم ترقْ لعدنان سعد الدين والشيخ سعيد حَوَّا، فكان الكلام يتردد علىٰ ألسنتهم (القرار الإخواني)، مما نفر العلماء وجعلهم يستخفون بما يرد علىٰ الألسنة، ولذا فإنها انهدمت، ورئيس الجبهة: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والأمين العام أبو النصر بيانوني.

ثم تألف التحالف مع أحزاب المعارضة، واختلف العلماء في مشروعيته، وأخيراً أقر التحالف، ولم نستفد منه شيئاً إلا سوء السمعة، ودخل فيه النصيريون والشيوعيون بدون إرادة من القيادة أو مجلس الشورىٰ، بسبب العراق كما يقال والله أعلم.

وأخيراً دُعِيَ للنفير تحت سيطرة العاطفة، ولولا لطف الله لكانت الكارثة كبيرة. وهناك موقف للشيخ سعيد حوا، كنا مهاجرين في العراق،

الدين وأخص الأئمة المجتهدين أبا حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ومن سار علىٰ نهجهم من أحباب الله والصالحين.

وقد حدث الإخوة بالجهاد، وتجاوب معه الإخوة، وكان موقفي عدم التحرك لأنه طغىٰ عليه الحماس، فحاولت إقناعه، وكنت أجد منه عدم الاستجابة، فأصبحت في حرج عظيم، ولكن الله منَّ عليَّ بمجيء الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، فانتصر الحق وسكت الشيخ سعيد. علىٰ أنّا فتحت لنا المعسكرات للتدريب، وكان المهاجرون يتدربون، وكنت معهم في المعسكرات.

والرئيس صدام قدم لنا أي للمهاجرين المعسكرات للتدريب، وقدم لنا السلاح وقدم لنا نفقات المطعم والمشرب، وكان معنا نحن الشيوخ والعلماء، وقال: أنا أقدم لكم السلاح والمال والسيارات والمصفحات... إلخ، ولكني أنصحكم بعدم الدخول علىٰ سورية، لأنه ليس لكم قوة تتغلب علىٰ قوة المسيطرين علىٰ البلد. وأذكر بأن شباباً ركبوا وحملوا السلاح بغير رضانا وموافقتنا، ودخلوا علىٰ سورية، وما إن دخلوا حتىٰ أطبق عليهم جنود التي لهم السلطة في السوريا وقتلوهم. رحمة الله علىٰ المسلمين وعفا عنهم.

وفي الختام اتخذ قرار بتشكيل لجنة التقويم (من كل محمد علي مشعل، والدكتور محمد علي الهاشمي...)، ودرست الأوضاع حسب ما أتيح لها، وخرجت بالقرار التالي:

وقد تبين من التقويم: أن العمل المسلح بدأ من حماة، وكان وراءه مجموعة الأخ عبد الستار الزعيم (تنظيم الطليعة)، ولجماعة حلب تنسيق مع الطليعة، وحدثت اعتقالات، وقع عضو المكتب التنفيذي والمسؤول عن التنسيق مع الطليعة، وتحت التعذيب أقر عن كثيرين.

ولم يكن هناك استعدادٌ للمعركة، حتىٰ المسئول العسكري قال: (لم يكن هناك استعداد مادي، ولا خبرة عسكرية لخوض المعركة مع العدو، ولكن هناك عواطف متأججة).

ولم تقر خطة عسكرية حتىٰ تاريخ ٧/ ٧/ ١٩٧٩م، أي قبل اتخاذ قرار المعركة بشهرين، ولم يكن هناك مكتب عسكري، وعدد الذين وضعوا للتدريب في تنظيم حلب ١٦٠ شخصاً.

ولما قررت قيادة فئة (أ) يعني حلب الدخول في المعركة في أيلول ١٩٧٩م، أسندت المسئولية لغير أهلها، تكلم عدنان سعد الدين أمام الشيخ محمود ميرة: أن عندنا (١٥) ألفاً بالداخل و(١٥) ألفاً بالخارج، وعندنا أسلحةٌ متطورةٌ لا تملكها الدولة.

وقد ذُكِرَ علىٰ لسان القادة أنه لم يكن في كل المجموعة من يقدر الأمور علىٰ حقيقتها إلا عبد الستار الزعيم، وأيمن الشربجي.

نظرة سريعة إلى الأحداث في زمن البعث:

أمام كل ما ذكر بدأ مروان حديد وجماعته يستعدون للجهاد، ويقومون بأعمال، وقد حذره الشيخ محمد الحامد من مغبة هذا، ولكنه لم يترك وبقي مصراً علىٰ رأيه، ولذا فإن نصيحة الشيخ محمد الحامد لم تُجْدِ شيئـًا.

وكان يتكلم بالجهاد، وبأنه لا يجوز أن يستريحَ الكافرون علىٰ كراسيهم مهما كانت التضحيات، فاندفع هو ومن اقتنع معه من الشباب بهذا الاتجاه، وجاء عدنان عقلة وهو أقل علمـًا ووعيـًا من مروان، وكانوا يطلقون علىٰ أنفسهم الطليعة.

واستطاعت الدولة أن تعرف مخبأ مروان بدمشق (العدوي)، وقبضت عليه بعد معركة دامت عدة ساعات، وفي السجن خضع لأنواع التعذيب، ثم أضربَ عن الطعام ... ثم تناوله حسب رأي بعض إخوانه، ولم يلبثْ أن توفي رحمه الله تعالىٰ.

وبدأت أعمال الاغتيالات فردية، كرد فعل لما حدث من الاستفزازات، وهجوم علني علىٰ الإسلام.

وبدأت الاغتيالات:

فقتل الرائد محمد غرة، وحسن خليل في حماة، ومحمد الفاضل وإبراهيم نعامة ومحمد أحمد الخليل في دمشق، وعاشت السلطة في رعب، وصار الشباب ينضمون إلىٰ الطليعة.

وكانت أهم أحداث الاغتيالات مدرسة المدفعية.

حيث أقدمت الطليعة بمعرفة وتخطيط ضابط أمن المدرسة النقيب إبراهيم اليوسف وبمساعدة عناصر من الطليعة، فقتل (٢٧٨) ١١ حزيران ١٩٧٩م، وكتب علىٰ اللوح عبارة أقحم فيها الإخوان المسلمين، وصارت العبارة طليعة الإخوان المسلمين.

ولم تمض أيامٌ حتىٰ بدأت الاعتقالات، وتجاوزتْ عشرة آلاف، وأعدم (١٤) شاباً وبدأ الناس يخرجون من البلاد نتيجة الخوف الذي بدأ يسيطر علىٰ الجو.

فالاعتقالات مستمرة، والقتل الدائم، وتدمير البيوت، وحرق المنازل، والقتل الجماعي، ثم إلىٰ:

قتل السجناء:

ففي اليوم الذي جرت فيه محاولة لاغتيال حافظ أسد، صبَّ أخوه رفعت جام غضبه علىٰ السجناء في تدمر، فقتل أكثر من سبعمائة سجين،

(ذكر بعض الأخوة / ٥٥٠/ من الإخوان المسلمين) والمعلومات التي وردت (١٢٠٠) سجين وهي غير موثوقة، والله أعلم.

وتصاعدت الحوادث:

تفجير في مجلس الوزراء، وآخر في آمرية الطيران، فنسبها الإخوان لأنفسهم.

وأخطرها حادثة الأزبكية:

التي ذهب ضحيتها عدة آلاف، فأُلْصِقَتْ بالإخوان، وأصبحت السلطة تعرض المشوهين في التلفزيون وتقول: هذه أعمال المفسدين المخربين، وقد شوهت هذه الحادثة اسم الجماعة، وقد أضرت (النذير) فكانت تنشر أسماء القتلىٰ وتذكر هذا من الإخوان، فينزل البلاء بأهله وأسرته وإخوانه ومعارفه.

ويُذْكَرُ أن الجماعة استنكرت حادثة الأزبكية، كما استنكرت حادثة المدفعية، إلا أن (النذير) نسبتها فيما بعد إلىٰ الجماعة، وهو كلام غير صحيح.

والبيانات الكاذبة التي كانت تصدر أضرت كثيراً بسمعة الإخوان، وبدأت التصريحات التي لا تليق بالدعاة إلىٰ الله حيث فيها الكذب المفضوح، وهكذا فقد تعقدت الأمور كثيراً، وبصفة عامة مرت العمليات العسكرية بعدة أطوار هي:

١. الطور السري: قتل رموز السلطة، وكانت ناجحة نوعاً ما، من (١٩٧٦م) إلىٰ (١٩٧٩م)، ولم تكشف.

٢. المواجهة في حلب، من أيار ١٩٧٩ إلىٰ حزيران ١٩٨٠، وحادثة المدفعية أدت إلىٰ عملية التمشيط، وضرب العمل المسلح، وأوقفت العمليات.

٣. محاولة اغتيال حافظ أسد ٢٩ حزيران ١٩٨٠م، سببت قتل المساجين في تدمر وضربات أخرىٰ كبيرة.

٤. عمليات في حماة زادت الحقد، نيسان ١٩٨١م.

٥. عمليات دمشق: ولما بايع أيمن الشربجي المراقب العام، حصلت أضخم العمليات، عملية مجلس الوزراء ٢٩ آب، تفجير الآمرية أيلول، تفجير مركز للخبراء الروس تشرين الأول، الأزبكية تشرين الثاني.

٦. أحداث حماة: وقع فيها ما يزيد علىٰ ثلاثين ألف قتيل، وهدِّمت البيوت علىٰ رءوس أصحابها.

٧. النفير: حصل لطف عظيم بالرجوع عنه، فالحمد لله علىٰ لطفه، وماذا تفعل ١٢٠٠ مع دولة قائمة وجيش مدجج بالسلاح.

التفاوض مع السلطة:

- وساطة الشيخ عبد الله علوان ١٩٧٩م، وعدنان عقلة رفض الخضوع لها وإيقاف العمليات، فغادر الشيخ حلب.
- مبادرة علماء حلب ١٣/ ١٢/ ١٩٧٩م.
- مبادرة الأخ أمين يكن أواخر ١٩٧٩م وأوائل ١٩٨٠م، أطلق سراح حوالي (٤٠٠) سجين، وقد كان موقف الجماعة تقليصه.
- مبادرة الشيخ محمود المشوح آب ١٩٨٠م، وكانت مفاوضات بين علي دوبا وحكمت الشهابي وبين فاروق بطل وعبد الله طنطاوي.
- مبادرة بعض البعثيين الأردنيين ١٩٨٠م.

ملخص النتائج:

خرجت قيادة الجماعة من سورية مع كثير من أفرادها، واتخذ قرار المعركة دون إعداد، وأحدثت علاقات مع الدول المضيفة.

وكان موقف الدول المضيفة حسنًا، فقد قدمت المساعدات والتبرعات، وقبلت في جامعاتها وهيأت فرص العمل.

وحدث التحالف مع أحزاب المعارضة، وكان لذلك إيجابيات وسلبيات، ولكنه أدىٰ إلىٰ جبهة وطنية، كانت خسارة كبيرة دون أي فائدة، ودخل فيها الشيوعيون والنصيريون، وقامت الجبهة الإسلامية، وكانت

مفخرة ومكرمة، خربها الشيخ سعيد حَوَّا، وعدنان سعد الدين، أصلحهما الله.

نبذة عن علماء حمص الذين عاصرتهم

الشيخ محمد علي مشعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) - (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م)

نبذة عن علماء حمص الذين عاصرتهم

المفتي الشيخ طاهر الأتاسي

عالم علامة، ساهم في تتمة شرح المجلة (مجلة الأحكام العدلية) التي ألفت في زمن الخلافة من قبل العلماء الثقات، وشرحها والده الشيخ خالد الأتاسي (العالم العلامة، وشرحه من أعظم الكتب وأدقها فقهـًا، وأوسعها أحكامـًا)، وبقي منها القسم الأخير، وهو الدعاوىٰ والبينات والقواعد الكلية.

وقد كان شرح المجلة للشيخ خالد أعظم شرح رأيناه، يدل علىٰ غزارة علم ودقة فهم وثقة كاملة، وشرح الشيخ طاهر الأتاسي للقواعد الكلية أجمل وأعظم وأدق ما عرفت.

لم يكتب لي شرف التلمذة عليه لصغر سني، لكن حضرت له محاضرة، وبعض علماء حمص تحدثوا لي عن غزارة علمه وقوة بيانه، ولم يكن له إلا ولد واحد اسمه "فيضي الأتاسي" بعيد كل البعد عن هذا الميدان، ولذا فإن الشيخ طاهر الأتاسي مات ولم يبق وراءه إلا شرح المجلة، وهناك ردٌّ علىٰ القاديانية جميل وصغير.

الشيخ عبد الغفار عيون السود

أقدم من الشيخ طاهر الأتاسي، ولم يكتب لي لقاء به، حيث توفي وأنا صغير جداً، وترك مؤلفاً يدل علىٰ علمه وفضله، وهو (الرياض النضرة في تفسير سورة الفاتحة والبقرة) وهو نادر المثال، يدل علىٰ سعة علمه وعظيم فضله، ويندر أن يؤلف مثله.

ورأيي: يجب العناية بهذا الكتاب وطبعه ونشره، حيث فيه فوائد عظيمة، ولم يخلف الشيخ طالب علم شرعي يرجع إليه، فعبد الرزاق طالب علم ولا يأكل إلا من كسب يده، وقد توفي دون أن يتزوج، وفوزي طالب علم شرعي إلا أنه لم يسلك طريق والده، اللهم اهده واغفر له، وعبد البر انحرف عن الطريق، وقد توفي دون أن يتزوج، ومن المآسي أن هذا البيت قد أغلق، وقد بلغني أن فوزي عازم علىٰ طبع كتاب الرياض النضرة[1].

الشيخ توفيق الأتاسي

الذي أصبح مفتياً بعد الشيخ طاهر الأتاسي ويكنىٰ (أبو حسن)، وابنه حسن.

(١) طبع الكتاب بالفعل، وقد اعتنىٰ به محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز عيون السود.

كان المستنطق الذي له شأنه في حمص، حضرت له مجالس وكان يجتمع عنده العلماء، ولم يخلف طالب علم.

كان الشيخ توفيق عالماً بالتاريخ القديم والتاريخ الحديث، وكان عضواً في المجلس الإسلامي الأعلىٰ (مجلس الأوقاف)، وعمره مائة وسنة، وكان يمشي مع الشيخ سعيد النعساني مفتي حماة وعمره مائة وعشر سنوات، وكان أيضاً عضواً في المجلس المذكور وكانا زينة وهيبة المجلس.

الشيخ تقي الأتاسي

كان عالماً عظيماً، وكان يحضر درس الشيخ عبد القادر خوجة، ولما سئل قال: إني أريد أن أموت طالب علم، وكان الشيخ يقول: استفدنا من الشيخ تقي، فصرنا نُحَضِّر الدروس، ولم يخلف طالب علم.

الشيخ أبو السعود أتاسي

ويذكر أنه من العلماء الأفاضل، لكن لم يكن لي مقام معه، ولم يخلف طالب علم.

الشيخ زاهد الأتاسي

مدير دار العلوم الشرعية، عالم فذ، زاهد علىٰ حقيقته، ورع يراقب المدرسين من العلماء مراقبة دقيقة مع منتهىٰ الاحترام والأدب، مع كبر سنه وجلالة قدره وغزارة علمه.

كان أستاذ النحو والبلاغة، وقد كتب الله لي أن قرأت عليه شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، وكتاب جواهر البلاغة، ولم أر أدق ولا أعلم منه، وكان يدرس الفقه الحنفي، وقد توفي ولم يخلف طالب علم، ولكن الطلاب الذين تخرجوا من دار العلوم الشرعية كثيرون جداً، وهم تلاميذه.

الشيخ أنيس الكلاليب

عالم فذ، كبير السن، يدرس الفقه الشافعي، وهو مرجع كبير في الفقه الشافعي، ويدرس المنطق، وكان يحدث بأحاديث جذابة، وينقل لنا وقائع عن الامتحان الذي كان يجري في زمن الخلافة العثمانية، ومما حفظته من لسانه: أنه لما حضر أمام العلماء الأجلاء الذين قد أوكل إليهم اختبار العلماء لإعفائهم من الجندية الإجبارية سألوه عن معنىٰ: (لا بد)، فأجاب علىٰ الفور: (لا مفارقة)، فقالوا له: نجحت وقد سألنا قبلك الكثير فلم يجيبوا، وكان يدرس العَرُوض، وكان شاعراً عظيماً، وكان يختار قصائد ليلقيها علينا لنحفظها.

توفيت زوجته وتوفي ابنه الوحيد، فلم يُخَلِّفْ أحداً، وهذا البيت لم يبق فيه طالب علم.

الشيخ محمد الياسين عبد السلام

كان شيخ القراء في حمص مجازاً بالقراءات السبعة عن طريق الشاطبية، وكان هو يجيز بها من يدرس عليه، وقد خلف الشيخ أبا السعود واثنين آخرين من خِيْرَةِ الناس.

لم أحضر له الدروس لكونه ترك التدريس لكبر سنه، وأوكل الأمر إلىٰ ابنه الشيخ **أبي السعود عبد السلام**، وهو شيخ من شيوخ القراء، وآل إليه الأمر بعد والده، وكان موسوعة في التفسير والحديث والفقه واللغة والتوحيد، فكان يدرس التوحيد ويدرس الفقه ويدرس مصطلح الحديث، ويدرس التفسير والحديث، وكان جريئًا في قول الحق لا يخاف في الله لومة لائم.

وكان عفيفًا وكان شيخي في كل المواد التي يُدَرِّسُها، وكان ملازمًا لغرفة الشيخ طاهر في حياته وبعد وفاته أكثر، وبما أنه إمام المسجد الكبير فهو في الغرفة دائمًا، وهذه الغرفة مركز الفتوىٰ والإصلاح، وكنت غالب الأوقات مداومًا فيها عندما أكون في حمص.

الشيخ أحمد صافي

شيخ شيوخ البلد، وكل العلماء الذين هم أصغر منه سنـًا تلقوا العلم عليه، وقد قدر الله أن يأتي إلىٰ مدرسة دار العلوم الشرعية، ويدرس فيها دروس التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه، وقد تلقيت عنه، ولم يخلف إلا الشيخ عبد الوكيل الصافي ابنه، وأما عبد العليم فصار مديراً للمعارف في حمص مدة من الزمن، وقد درس في تَلْدَوْ وكنت من طلابه، وعمري سبع سنوات، وكان الشيخ أحمد خطيب جامع الدالاتي وأصبح ابنه الشيخ عبد الوكيل هو الخطيب في جامع الدالاتي بعده.

والشيخ عبد الوكيل من طلاب العلم الشرعي المعدودين، يدرس في جامع خالد بن الوليد، ويخطب في جامع الدالاتي، وعنده قلادة شهادات.

الشيخ أبو النصر خلف

شيخ شيوخ البلد، كلهم دخلوا في الطريقة النَّقْشَبَنْدِيَّة، علماء آل الأتاسي، وجميع من ذكرتهم ومن لم أذكرهم.

والده الشيخ سليم خلف، ووالد الشيخ أحمد صافي الشيخ سليم صافي، هما من أعظم العلماء الربانيين.

وقد عرف الشيخ سليم صافي بزهده في الدنيا وإنفاقه في سبيل الله، فكان يأخذ العجين إلىٰ الفرن فيخبزه ويعود به إلىٰ البيت، فيقف له الفقراء علىٰ

الطريق، فيرجع إلىٰ البيت وليس معه رغيف، ويذهب بالكبة الصينية كذلك فلا يرجع إلىٰ البيت وفيها جزء ولو صغيراً.

وطلب منه فقير سروالاً، فوقف في الطريق والتفت إلىٰ الجدار وخلع سرواله وأعطاه إلىٰ الفقير، وقد توفي قبل ولادتي بكثير، والذي أذكره أنقله عن ثقات، وقبره بحمص في المقبرة جنوبي القلعة، لما أزالوا القبور فالبلدوزر انكسر عند قبره، وتركوه وقد مررت وشاهدت قبره وحيداً فقط في المكان.

وأما الشيخ سليم خلف فهو عالم رباني، وأخذ عنه جميع العلماء الموجودين في حمص الطريقة النَّقْشَبَنْدِيَّة، وتربىٰ علىٰ يده الكثير والكثير من الدعاة إلىٰ الله والشيوخ، وقد استخلف أربعة خلفاء:

١. ابنه الشيخ أبو النصر خلف.

٢. ووالدي محمد مشعل من تَلْدَوْ، ومن الغرائب أن الشيخ بدر الدين الحسني محدث الديار الشامية زار حمص وزار الشيخ سليم، وطلب أن يدخل في الطريقة النَّقْشَبَنْدِيَّة، فأمر الشيخ سليم والدي بإدخاله في الطريقة النَّقْشَبَنْدِيَّة، وكذلك الشيخ عبد القادر القصاب (من دير عطيه في القلمون) زار حمص، وزار الشيخ سليم، وطلب أن يدخل في الطريقة فأذن الشيخ سليم لوالدي أن يدخله بالطريقة النَّقْشَبَنْدِيَّة.

٣. والشيخ حسين الخطيب من طيبة الإمام شمالي حماة.

٤. والشيخ أحمد التلاوي من حمص.

(ولعل الشيخ سليم استخلف نساءً، فأنا غير متأكد، ولكني أعرف أن جدتي أم والدي "شعاع عبارة" خليفة نقشبندية).

وقد قال الشيخ سليم لابنه أبي النصر: فتوحك في الشمال، وسيأتي معنا بعد قليل كيف كان هذا الفتوح.

[من أساليب الشيخ سليم خلف]

لقد عرف الشيخ سليم بأساليب في الدعوة إلىٰ الله أنقل بعضها للاستفادة منها:

قيل له: إن فلانا لا يصلي، وإذا نصحناه يرد علينا بشدة، قال: دلوني عليه، فذهب بعض العلماء بصحبته إلىٰ دكانه وأشاروا إليه، فتقدم الشيخ ومن معه إليه فأغار الرجل علىٰ الشيخ يستقبله، فقال له الشيخ سليم رحمه الله: جئنا نطلبُ دعاءك، وأخذ بيده فصرخ الرجل، وقال: الشيخ سليم يطلب دعائي! تبت إلىٰ الله، وذهب إلىٰ المسجد ثم إلىٰ زاوية الشيخ سليم، وهذا الرجل هو أبو سعيد الشعار الذي صار من كبار العلماء والأولياء، وتنقل عنه العديد من الكرامات، ونسأل الله أن يرحمه ويعلي مقامه، وأن يكون أبو سعيد الشعار خيراً مما نقول.

وقيل له: إن فلانا غلب كل اللاعبين بالمصارعة، وأصبح بطل المصارعة في حمص، وذكر له أنه لا يصلي وأنه غافل وجاهل إلخ، فأرسل الشيخ سليم إليه خبراً بأنه سيأتي إليه ليصارعه، وانتشر الخبر في حمص، ولذلك ذهب الناس بسرعة إلىٰ المكان ليشاهدوا الصراع، وذهب الشيخ سليم مع بعض العلماء المشهورين بحمص إلىٰ المسرح (المكان المخصص للمصارعة).

ولما وصل الشيخ سليم إلىٰ المكان أسرع بطل المصارعة يرجوه أن لا ينزل إلىٰ المصارعة، فأبىٰ إباءً شديداً وقال: المشيخة شيء والمصارعة شيء آخر، فخلع العمامة والجبة ونزل إلىٰ المسرح يتبختر حسب عادة المصارعين.

فقال بطل المصارعة في نفسه: أحمل الشيخ وأضعه علىٰ الكرسي بكل احترام وتقدير، ولكن الشيخ وقف في المسرح حسب الأصول، وتقدم بطل المصارعة فتخلىٰ عن كل شيء وأمسك بالشيخ بثيابه وأدخل يده في زناره ليحمله، وارتخىٰ الشيخ فلم يستطع بطل المصارعة أن يُقِلّه أو يحركه، وأمسك الشيخ بحزام بطل المصارعة ورفعه عن الأرض، وصار يدور به علىٰ الناس، وصرخ الناس بأصوات عالية: الله أكبر الله أكبر، ووضع الشيخ بطل المصارعة علىٰ الكرسي بكل تأن، فرفع بطل

المصارعة رأسه إلىٰ السماء وشهد الشهادتين وبكىٰ وتاب وأقبل علىٰ الإسلام.

وكان لهذا الحدث أكبر أثر في نفوس المشاهدين، فكثر التائبون والمقبلون علىٰ حلقات العلم وحلقات الذكر.

وأحياناً يلاعب بعض العصاة بلعبة (السيف والترس) فيغلبهم فيتوبون إلىٰ الله تعالىٰ.

والحادثة المشهورة: الاستسقاء، فإنه خرج بالناس للاستسقاء، فدعا وأمسك بلحيته: يا رب لا تُخَجِّلْ هذه اللحية، فكان المطر غزيراً، وكثرت الخيرات والمحاصيل، والله ولي التوفيق.

[فتوح الشيخ أبي النصر خلف]

وأما ابنه الشيخ أبو النصر فإنه توجه إلىٰ شمالي حمص واهتم بتلبيسة (قرية شمالي حمص)، ثم القرىٰ حول حماة، وفي حماة نفسها، ثم قرىٰ حلب، وكان فتحاً عظيماً نادراً.

وكل قرية دخلها أخذ منها طالباً أو اثنين أو ثلاثة ليتعلموا العلوم الشرعية، وكان يطلب من تجار حلب أن يقوموا بالإنفاق عليهم حتىٰ يتمموا الدراسة.

وكذلك فإنه في حلب كلما دعاه وجيه من وجهاء حلب طلب أن يرسل أحد أولاده لطلب العلم الشرعي، وهكذا فقد صار معظم شيوخ حلب من تلاميذ الشيخ أبي النصر.

والشيخ أبو النصر تجول في البلدان والقرىٰ التابعة لحلب، وانتقل إلىٰ الجزيرة، وكان الفتح أكبر وأكبر، فكثير من الأماكن لا صلاة فيها ولا أذان، فكانت رحلاته الميمونة المباركة سبباً في العودة إلىٰ الإسلام، والعودة إلىٰ الصلاة وذكر الله.

وقد كتب الشيخ محمد الحامد عن الشيخ أبي النصر ما يفي بالغرض، ونقل الشيخ محمد رسائل من الشيخ حسن البنا إلىٰ الشيخ أبي النصر وبالعكس.

وزاوية الشيخ أبي النصر في حلب غرفة في الخسروية، تلك المدرسة الشرعية العظيمة التي تخرج منها العلماء والأفاضل، وبالنسبة لحمص فالزاوية مركز حلقات العلم.

من تلاميذ الشيخ أبي النصر بحلب

الشيخ محمد بلنكو:

مفتي حلب، وهو من المتفانين بحب الشيخ أبي النصر، ولا ينفك دائماً عن الاتصال به أو بأولاده.

الشيخ محمد النبهاني:

وقد بلغ من علمه وجهاده في سبيل الدعوة إلىٰ الله مبلغاً عظيماً يكاد يصل إلىٰ ثلث حلب، والله أعلم.

الخشوع والأدب والذكر في تلاميذ الشيخ البنهان وتلميذاته لا ينفك عنهن، وعن جميع أتباعه، والحجاب ملتزم في تلميذاته، فله دروس خاصة للنساء وبينهن زوجته ومحارمه.

الشيخ عيسى بيانوني:

وهو عالم رباني محب لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ويفتخر بتلمذته للشيخ أبي النصر، وعندي رسالة موجهة منه لوالدي يخاطبه: (إلىٰ الشيخ محمد السليمي) نسبة لشيخه الشيخ سليم خلف، والد الشيخ أبي النصر خلف، وهو الذي أجاز والدي، والتوقيع: عيسىٰ البيانوني خادم أبي النصر خلف.

والشيخ عيسىٰ أذكر وأنا صغير زيارته لوالدي حيث ذهب من حمص إلىٰ تَلْدَوْ لغرض الزيارة، ولا يوجد طريق معبد ولا سيارات، وبين حمص وتَلْدَوْ خمسة وعشرون كيلو متر.

وقد كان يحج كل عام ويزور دوماً قبل الحج، إلا في السنة التي توفي فيها، فإنه حج وبعد الحج رجع إلىٰ المدينة وزار الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، وتوفي في المدينة، وقبره بالبقيع بمكان قريب.

وابنه الشيخ أحمد عز الدين، زميل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وهو من العلماء المشهورين وكان علماً من أعلام الإسلام، وقد ربىٰ تلاميذه منذ الصغر علىٰ اتباع السنة، وقد شاهدتهم في مسجد أبي ذر في حلب بعمائمهم علىٰ صغر سنهم: أدب وذكر وعلم والتزام (جماعة الهدىٰ)، وقد عرف هذا البيت بالتزام الوعد وعدم التخلف، وربىٰ تلاميذه علىٰ ذلك مع أولاده.

وأولاد الشيخ أحمد عز الدين بيانوني أعرف منهم:

١) الشيخ أبو أنس البيانوني

علي صدر الدين بيانوني، وهو من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، ومن أعضاء جماعة الإخوان المسلمين البارزين، وقد أصبح أخيراً المراقب العام للإخوان المسلمين السوريين.

٢) الشيخ الدكتور أبو الفتح بيانوني

وهو من علماء الدعوة الكبار، وله باع كبير في جمع كلمة العلماء، وله مؤلفات تقرب البعيد وتضع طالب العلم علىٰ فقه الدعوة وفقه الواقع، وأولاده من فضل الله بررة أتقياء وسائرون علىٰ الطريق.

٣) الشيخ أبو النصر بيانوني

خليفة الشيخ أحمد عز الدين في رئاسة جماعة الهدىٰ، وقد كان أميناً لسر الجبهة الإسلامية يوم ألفت، وهو من أعلام الجهاد، رحمة الله عليه، مملوء إيماناً وأخلاقاً وفضلاً.

الشيخ عبد الباسط بن الشيخ أبي النصر خلف

تخرج من مدرسة دار العلوم الشرعية بحمص، وكان يأكل من كسب يده، وقال لوالده: أنا أريد أن آكل من كسب يدي، يعني: لا عن طريق وظيفة، ولا عن طريق المشيخة والمريدين.

وكان والده الشيخ أبو النصر يقول لوالدي: أحب ابنك (يعني محمد علي مشعل) أكثر من كل أولادي، ما عدا عبد الباسط، وقد اختار الإقامة في حلب مؤثراً القرب من مريدي والده وتلاميذه، والشيخ عبد الباسط استخلفه والده مرشداً عاماً.

والشيخ عبد الباسط: علم وفهم وزهد وورع وتقوىٰ وكرم، وإني ذهبت من حمص إلىٰ حلب بطلب من جمعية علماء حمص ليتولىٰ منصب الإفتاء في حمص فاعتذر.

وقد عمل آل المشارقة في حلب علىٰ بناء مسجد الفاروق، وبنوا داراً للشيخ عبد الباسط إلىٰ جانب المسجد، وهم يودون أن يقوم الشيخ بالمسجد، ويسكن الدار، ولكنه رحمه الله اعتذر وقال: أنا أقدم لكم من هو أعلم مني، وقدم لهم الشيخ طاهر خير الله.

ومشىٰ الشيخ عبد الباسط علىٰ خط والده في الدعوة والإرشاد، وكان له باع طويل في تحقيق بعض أهداف الدعوة.

ومن الخصال التي يتمتع بها:

أنه يحب دعاة الإسلام بحيث يشعر كل داع أنه معه، ولذلك فإنه دائماً عامل علىٰ جمع الكلمة، والقاصي والداني يحس بعطفه ورعايته واهتمامه.

وإن دعوته مفتوحة حتىٰ إعطاء الأوراد فإنه يعطيها علناً ويجيز الكثيرين بأخذها، ولذا فإن هذه الميزة جعلته محبباً لجميع معارفه، وإن عفته عن أموال الناس وحرصه أن يأكل من كسب يده أعطته ميزة عظيمة أمام الناس.

أصيب ولده "زياد" بصدمة ارتجاج بالدماغ، وهو من الذكاء بمكان عظيم، إلا أن ضياع عقله سبب له متاعب له ولمن حوله وللشيخ أكثر من الجميع (والابتلاء من علامة المحبة)، وله ولد اسمه "إسماعيل"، عالم وداع يذكر ويشكر، وإني أسأل الله أن يحفظه من كيد الكائدين ومكر الماكرين، ويجعله خير خلف لخير سلف.

وأولاد الشيخ أبي النصر

١) الشيخ كلال: وكان من الدعاة ويدير الأختام، وسكن في منبج واستقر بها.

والشيخ كلال هو الكبير، وهو من العلماء وله أولاد:

- الشيخ أبو النصر وهو علىٰ قدم والده وجده، وبعد وفاة الشيخ كلال كان خليفة له، وهو ذو مركز محبوب، وله قدر عند معارفه ومريديه ومريدي أبيه وجده.
- والدكتور عبد الوهاب طبيب، ويطلقون عليه اسم مهاب، وهو في الذروة العليا بالإخلاص في عمله والتقوىٰ والاستقامة، ويقل أمثاله في حسن السيرة والسلوك.
- وله أولاد آخرون لا أعرف أسماءهم.

٢) والشيخ عبد الرحيم علىٰ قدم والده، وكان يجلس مكان والده في الزاوية ويدير الأختام النَّقْشَبَنْدِيَّة في جامع بيت القصير، وفي الجامع الكبير، وفي جامع التركمان كما كان والده، وقد توفي وليس له ولد.

٣) والشيخ عبد المهيمن وهو علىٰ قدم والده، ويدير الأختام النَّقْشَبَنْدِيَّة، متفقه ذكي.

٤) والشيخ عبد الكافي وقد توفىٰ وله بنت متعلمة ومدرسة وداعية، وأخوها جاء مرافقًا لها للسعودية بأبها.

الشيخ عبد القادر خوجة

شيخ البلد، أعطاه الله منزلة تفوق منزلة الملوك فقد درسني في دار العلوم الشرعية، عالم عظيم رجع إليه الفقه الحنفي في حمص، وهو من أعظم فقهاء الحنفية ومن أعظم علماء المسلمين، لا نظير له فيما نعلم. وهو رئيس الحلْقة التي يدرس فيها الفقه، ويدرس فيها الحديث النبوي شرح البخاري وشرح مسلم، وهو من أعظم تلاميذ الشيخ عبد الغفار عيون السود (زوج أخته).

وقد بلغني أنهم قرءوا حاشية رد المحتار علىٰ الدر المختار للمحقق الشهير ابن عابدين خمس مرات، من أولها لآخرها، وقد قرءوا شرح صحيح البخاري للمحقق ابن حجر العسقلاني وللقسطلاني والإمام العيني عدة مرات في الحلقة.

وكان هناك درس مساء ثلاثاء كل أسبوع، يجتمع فيه العلماء وطلاب العلم ويتداولون المسائل الفقهية، والفتاوىٰ المستجدة، ورأس الحلْقة الشيخ عبد القادر خوجة. رئيس جمعية العلماء في حمص دومـًا المفتي، والشيخ عبد القادر نائبه إلا أنه الرئيس الفعلي. وعلماء حمص كلمتهم واحد وعندهم لقاء مع المفتي ولقاء للدرس كل أسبوع وتعرض فيه المشكلات والفتاوىٰ والأمور العامة.

ويمتاز بأنه يأكل من كسب يده، فعنده دكان في سوق الحسبة (عطار) أمام الجامع الكبير، وفي هذا الدكان الأسئلة والفتاوىٰ والمحاكمات، يرضىٰ بحكمه المسلم وغيره. يعيش من كسب يده وراتب الوظيفة لا يدخل علىٰ ماله بل يوزعه علىٰ الفقراء والمحتاجين بدون ضجة وبدون كلام.

ويمتاز بخلق حسن ليس له نظير، يمتاز بعلم غزير ودقة في الفهم والإفتاء، وهو والدي الروحي في حمص، وهو الكفيل لي بالنسبة لدار العلوم الشرعية.

لقد أسندت إدارة مدرسة دار العلوم الشرعية بعد وفاة الشيخ زاهد إلىٰ الشيخ عبد القادر خوجة، وقد درس في المدرسة، كذلك أسندت للشيخ محمد علي عيون السود أيضـًا، ولقد كان إمامـًا للمسجد الكبير في آخر حياته، والرواتب التي يأخذها كان ينفقها ولا يدخلها علىٰ الدكان.

ولقد رأىٰ الشيخ راغب الدويري الذي كان مقيمـًا في جامع بيت القصير بحمص النبي صلىٰ الله عليه وسلم في المنام والشيخ عبد القادر موجود، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: (يا عبد القادر ادع لنا)، فتصاغر أمام النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقال: كيف أدعو لك وأنت رسول الله؟! قال له: ادع لنا.

فأول الشيخ راغب المنام بأن الشيخ عبد القادر سيتوفىٰ في هذا اليوم، فنزل إلىٰ السوق وشاهد الشيخ عبد القادر في الدكان يبيع ويشتري حسب العادة، فعاد إلىٰ المسجد، وفي نفس اليوم صلىٰ الشيخ صلاة الظهر إماماً في الجامع الكبير حسب عادته، ثم ذهب إلىٰ البيت، وفي الطريق حصلت له أزمة قلبية فجلس في الأرض (شارع أبي الهول)، فأسرع من رآه وحملوه إلىٰ البيت، وكان البيت قريباً وبعد قليل فارق الحياة رحمه الله تعالىٰ.

وأولاده هم:

١) الشيخ حسن خوجة بالدكان، فقيه فاهم ورع ومثقف علىٰ قدم والده، وكان يسأل عن مسائل فيفتي بدقة، وهو من الصالحين، وقد توفي وله أولاد صالحون.

٢) الشيخ محمد طيب خوجة: داع من دعاة الإسلام، معروف بفهمه ووعيه وفضله، له مكانة في القلوب، وقد رخص له بثانوية عمر بن الخطاب لما رخص لمحمد علي مشعل بثانوية علي بن أبىٰ طالب، والمدرسة لا تزال موجودة، وقد رشح للاتحاد القومي وصار عضو مجلس أمة في أيام الوحدة بين مصر وسوريا، وقد رشح للمجلس النيابي في عهد الانفصال، وكان من الناجحين، وبينه وبين هاني السباعي ما يزيد علىٰ أربعة آلاف صوت (مثلي)، وله ما يزيد عن ستة آلاف صوت علىٰ فيضي الأتاسي وعدنان

الأتاسي، كذلك (أنا)، والآن هو في الكويت في جمعية الإصلاح، وتوفي هناك، وله ولد صالح.

٣) عبد المتين خوجة: طبيب نسائي علىٰ درجة عالية من الطب، قام بعملية جراحية احتملت معه ثماني ساعات، وقع بعدها متعباً، وأصابه إعياء، وتوفي إن شاء الله شهيداً، وخرجت حمص بجنازته بشكل منقطع النظير، إكراماً لوالده.

٤) طلحة خوجة: قاض في حمص، وقد ذهب للكويت بصفة قاضي، وهو الآن يتردد بين حمص والكويت، وله سمعة طيبة ودقة في الفهم وسداد في الحكم، والله ولي التوفيق.

ويحضر عند الشيخ عبد القادر: الشيخ بدر الدين الأتاسي، وهو ابن أخته، والشيخ عبد الفتاح المسدي، والشيخ تقي، والشيخ مؤيد شمسي باشا.

الشيخ: طاهر الرئيس

عالم عظيم رجع إليه الفقه الشافعي في البلد، وهو رئيس الحلْقة التي يدرس فيها الفقه الشافعي، أستاذ الفقه في دار العلوم الشرعية وعنده مدرسة أهلية ابتدائية تعلم فيها معظم أبناء حمص، وله درس للنساء بعد

ظهر الجمعة في جامع خالد بن الوليد، وكان مرجعاً للفقه الشافعي والحديث. وهو أستاذي في المدرسة وفي الحلقات.

وقد قرئ في الحلقة كثير من كتب الشافعي، من أهمها البجيرمي علىٰ المنهج، والجمل علىٰ المنهج حيث القاضي زكريا اختصر المنهاج بالمنهج وشرح المنهج، وقام بوضع حاشية عليه البجيرمي والجمل، قرئ في الحلقة كتاب إعانة الطالبين، والباجوري، والبجيرمي علىٰ الخطيب، وقد قرئ في الحديث شرح صحيح البخاري للقسطلاني مرات.

وعنده حلقات العلم بعد الفجر وبعد المغرب، وبعد العشاء ليلة في الأسبوع. وقد كان للشيخ حلقات بين المغرب والعشاء في النحو، ولا أغيب عن حلقة العلم بين المغرب والعشاء أبدا، وبالنسبة لي كالوالد أيضا، فدرسنا الإظهار والكافي والصرف والبلاغة، وكان له ابن طالب علم هو الشيخ عبد الكريم، ولما توفي كان يبكي الشيخ ويقول: مِتُّ قبل أن أموت.

الشيخ محمد علي عيون السود

هو من تلاميذ أخيه الشيخ عبد الغفار عيون السود، وهو شبيه بالشيخ عبد القادر خوجة في الخلق واللباس، فعمامته من أجمل العمائم، وجبته كذلك، ولباسه الداخلي متواضع جداً، وكان شيخي ووالدي، وهو فقير

بالمال غني بالقلب والحال، لم يجدد ثيابه طوال دراستي في دار العلوم الشرعية.

وهو مدرس الفقه الحنفي وأصوله، وكان له أسلوب في التدريس يفوق كل أسلوب، يستفيد منه قليل الذكاء وضعيف الفطنة، وكان محبوبـًا جداً لدىٰ الطلاب، وكان عضواً في جمعية العلماء، ويرجع إليه العلماء في المعضِلات.

وكان عالمـًا عظيمـًا، درَّسنا الفقه الحنفي وأصول الفقه، ودرَّسنا النحو أحيانـًا، وكان ذا خلق حسن، ومهيبـًا، وكان يدرس بهدوء، والطالب البليد في درسه سعيد، وكل الطلاب يفهمون عليه.

وله أربعة أولاد:

١) الشيخ عبد اللطيف عيون السود:

وهو طالب علم تقي مستقيم، وقد اشتغل بالدكان، ودكانه علىٰ شكل دكان الشيخ عبد القادر خوجة، وبيته وأولاده كلهم من أهل الاستقامة والتقوىٰ.

٢) الشيخ عبد العزيز عيون السود:

وهو الثاني من جهة السن، ولكن الأول عند والده وعند الناس، وكان يعتني به والده، حفظ القرآن مبكراً، وأصيب بمرض السل،

والتحق بالمصح فترة، لكنه مقبل علىٰ القرآن وعلىٰ العلم، وقد عافاه الله.

وبعد تخرجه من دار العلوم تلقىٰ القرآن عن شيوخ القراء، فأجيز من الشيخ عبد القادر عربيني بالعشرة من طريقين: الطيبة، والشاطبية والدرة، ثم أجيز من شيخ قراء مصري، زاره في بيته في حمص، وأقام عنده حتىٰ تمت إجازته، ثم أجيز من الشيخ الضباع.

وهناك قصة طريفة:

فالشيخ عبد العزيز كان يحج كل عام، ومرة كان هو ووالده الشيخ محمد علي بالحج، فاستأذن والده وكانا بمكة أن يذهب إلىٰ مصر للتلقي من الضباع، شيخ القراء في مصر، فقال له والده: اصبر إلىٰ الغد، وفي الغد سمح له بالسفر فذهب علىٰ غير ميعاد، فاستقبله الشيخ الضباع إلىٰ الباب، وهو لا يعرفه أبداً، وبمجرد لقائه سأله عن والده الشيخ محمد علي، وكان لا يُدخل علىٰ الضباع إلا بإذن، وفي هذه المرة قال لمن حوله: جاءنا ضيف، وخرج إلىٰ الباب واستقبله وأدخله وسأله عن والده الشيخ محمد علي.

وفهمت أن الشيخ محمد علي عيون السود رأىٰ الرسول صلىٰ الله عليه وسلم في المنام وقال له: اسمح له بالذهاب إلىٰ مصر حتىٰ يحظىٰ بالشيخ الضباع، ورأىٰ الشيخ الضباع في المنام الرسول صلىٰ الله عليه

وسلم، وذكر له أن الشيخ عبد العزيز جاء لزيارته من مكة، وهكذا تم اللقاء.

وأجيز الشيخ عبد العزيز وأصبح فيما نعلم شيخ القراء في العالم الإسلامي، ليس في حمص ولا في سورية بل في العالم الإسلامي، وقد قرأ عليه الشيخ سعيد العبد الله شيخ قراء حماة، وأجيز بالسبعة (الشاطبية) إجازة ثانية، وقد تلقىٰ الشيخ سعيد عن الشيخ عبد العزيز بقية القراءات[1].

---

(١) مسكنه الجنان (قرية شرقي حماة علىٰ العاصي، كانت فيها العائلة (بيت العبد الله – عائلة النص أوقية)، وعائلة مشعل في تلدو من قرىٰ حولة حمص، والعبد الله ومشعل أخوان، والكل أصلهما من تادف شرقي حلب، والأصل من الأحساء. اشتروا [بيت العبد الله] قرية أم خرزة التابعة لسلمية، وانتقلت العائلة النص أوقية إلىٰ أم خرزة. وكان كبار العشيرة عبد الله والد الشيخ سعيد، والحاج عبد الوهاب عمه، وكانا مرجعاً لحل الخلافات بين عشائر البدو.

أتم الشيخ سعيد حفظ القرآن في حماة وعين مدرساً في المدرسة الشرعية التي تخرج منها. وأجيز بالقراءات السبعة من مقرئ حماة، وصار بعدها كثير الاتصال بالشيخ عبد العزيز عيون السود، فأجيز بالقراءات السبعة (الشاطبية) من الشيخ عبد العزيز إجازة ثانية حيث عرض علىٰ الشيخ عبد العزيز القراءات، كما تلقىٰ عن الشيخ عبد العزيز بقية القراءات.

والمجازون من الشيخ سعيد من الذكور كثيرون جداً والمجازات من النساء كثيرات أيضا. وأولاده عبد الله وأخواه مجازون بالقراءات السبعة وهم احتلوا منصب الوالد

وكانت له صلة كبيرة بدمشق، وكان صديقـًا للسيد مكي الكتاني، وللسيد المنتصر الكتاني، وللشيخ منلا رمضان، ولسائر علماء دمشق، وقد سافرنا معه مع الشيخ وصفي ومع الشيخ أبي السعود والشيخ عبد الفتاح المسدي والقاضي أحمد القهوجي أبي وليد إلىٰ الكويت، ثم إلىٰ السعودية، والتقينا بالسيد المنتصر الكتاني، وأخذ لنا موعداً مع الملك فيصل رحمه الله والتقينا به، وأجيز من قبله عدد من القراء، وكان عضوا في جمعية العلماء.

٣) الشيخ محمد نور عيون السود:

هو من طلاب العلم الشرعيين ومن حفظة القرآن، وقد توفي بعد فترة ليست بطويلة في المدينة، ودفن بالبقيع.

٤) أحمد عيون السود: وهو من طلاب العلم أيضـًا.

الشيخ عبد الفتاح المسدي

تتلمذ علىٰ الشيخ طاهر الأتاسي وتلقىٰ عنه، وكان كثير التردد علىٰ الشيخ توفيق أتاسي وبخاصة بعد أن صار مفتيـًا وتلقىٰ عنه، إلا أنه أخيراً كان ملازمـًا للشيخ عبد القادر خوجة، في جميع حلقاته، في جامع بازر

وساروا في نفس الطريق. ولما صار الشيخ سعيد في مكة اتسعت حلقات القرآن وكثر المجازون من الرجال والنساء، والشيخ سعيد لا يكل ولا يمل، وبفضل الله سبحانه.

باشي، وفي الجامع الكبير، ويعد من أكبر تلاميذ الشيخ عبد القادر خوجة، وكان ناضجاً في الفقه الحنفي، وأصول الفقه الحنفي، وكان ناضجاً في النحو.

وقد درس في المعارف بالابتدائي، ولما عين بالرستن تتلمذ عليه أئمة الرستن الشيخ عيسىٰ المصري، والشيخ محمد أبو سعيد، والحاج محمد الإبراهيم مع كونه خريج الأزهر، وقد عين في تَلْدَوْ فالتف عليه والدي وعمي وأقاربي وأخوالي من بيت عبارة، وله صداقة مع عمي والد زوجتي حسن عمر عبارة مختار تَلْدَوْ وزعيمها، ومع كل وجهاء تَلْدَوْ.

وكان له صله بالشيخ بدوي في جامع سَيِّدنا خالد في حمص، ومع الشيخ أحمد حارون في دمشق، وله حكايات مع الشيخ أحمد حارون، وكان كريماً يصلي بالجامع الكبير، فإذا وجد من معارفه القرويين أحداً أخذ بأيديهم رأساً إلىٰ طعام الغداء دون تكلف، وكان مضيافاً.

وله أبناء علىٰ مستوىٰ من الصلاح والتقوىٰ والعلم:

السيد عبد الكافي المسدي، وهو مهندس زراعي بيته بيت صلاح وعلم، والدكتور الشيخ ياسر المسدي من خيرة حملة العلم الشرعي سلوكاً وفهماً ورأياً، وعبد الواسع، وعبد الودود (فرج الله عنه).

ولما أنشئ المعهد الشرعي التابع لجمعية العلماء أصبح مديراً له بعد وفاة الشيخ طاهر الرئيس.

الشيخ بدر الدين أتاسي

هو التلميذ العظيم الملتزم لدروس خاله الشيخ عبد القادر خوجة، وهو ذكي تقي علىٰ قدم خاله، لا يأكل إلا من كسب يده، وهو فقيه ناضج ليس له أولاد، وزوجته عمة نور الدين أتاسي، وقد تم اختياره مفتياً لحمص بعد وفاة الشيخ توفيق أتاسي، فكان خير مرجع، والحلقات لم تنقطع، وليلة الثلاثاء مستمرة.

وقد جالسته كثيراً واطلعت علىٰ علمه وفضله، وكان له يد في جلب عبد القادر عوا من يبرود ومناقشته، وكان يجلس يوم الجمعة يلتقي العلماء في جلسة بعد صلاة الضحىٰ، يقرأ فيه ويتحادث فيه في شئون المسلمين، وكان لا يفتر عن الصلاة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وكان صالحاً ومتهجداً ومديماً للمطالعة، وقد تخرج من مدرسة دار العلوم الشرعية.

الشيخ محمد طيب أتاسي

من تلاميذ الشيخ عبد القادر خوجة، وقد تخرج من مدرسة دار العلوم الشرعية وكان مدرساً في دار العلوم الشرعية، ومدرساً في المعهد الشرعي التابع لجمعية العلماء.

ولما توفي الشيخ بدر الدين أتاسي أصبح هو مفتي حمص، وكان من الصلاح علىٰ شكل غريب، وباعتبار كونه أتاسياً جرت عنده المحادثة من أجل الدستور، وتم اجتماع العلماء والمسؤولين في بيته، وبحضوره تم الاتفاق، وفي اليوم الثاني دعي الجميع لحضور طعام الغداء يوم الجمعة ٢شباط ١٩٧٣، وتم اعتقالي.

الشيخ وصفي المسدي

عالم عظيم، وخطيب مفوه، مقرب من القلوب الخاصة والعامة، يظن فيه الولاية، تخرج من مدرسة دار العلوم الشرعية، وأصبح مدرساً في المعهد الشرعي التابع للجمعية، ثم مديراً أيضاً، وله دروس عامة كثيرة يجتمع عليها الكثيرون لنفعها، وهو إمام وخطيب جامع القاسمي بحمص، وهو الآن بالسعودية، يخطب بمسجد من مساجد جدة، وتلاميذه من شباب الدعوة في حمص، وهو مرجع في الفتوىٰ وفي الفقه الحنفي.

الشيخ عبد الغفار الدروبي

عالم مقرئ، أجيز من قبل الشيخ عبد العزيز عيون السود بالقراءات، وهو من أرقىٰ الدعاة إلىٰ الله، كوالده الشيخ عبد الفتاح الدروبي، لا يفتر عن العمل في الدعوة، وهو إمام وخطيب مسجد جورة الشياح (مسجد

الدعوة)، وعنده حلقات علم، وحلقات قرآن، عدا عن المحاضرات مساء الثلاثاء في مسجده من قبل العلماء، وأحيانـًا هو الخطيب. ويجتمع عنده عدد كثير من الطلاب والشباب وكثير من الحريصين علىٰ الثواب. وكانت له يد كبيرة في نشر الثقافة الدينية وتلاميذه وأولاده عاملون في هذا الحقل جزاه الله وجزاهم خيرا. وإنه انتقل إلىٰ مكة المكرمة، فكان أيضا مركزا من مراكز الدعوة وتلقين القراءات. وله ولد طالب علم (الشيخ فيصل) مدرس في السعودية.

الشيخ أحمد كعكة

عالم فقيه بالمذهب الشافعي، إمام وخطيب في مسجد الحي، مداوم علىٰ حلْقة الشيخ طاهر الرئيس، وعلىٰ الجلوس في الغرفة، وهو أهل للإفتاء، ومدرس في المعهد الشرعي، ومدرس في المساجد دروسـًا عامة، وهو من تلاميذ الشيخ أبي النصر خلف المقربين، وكان يصحب الشيخ في تجولاته، وهو متخرج من المدرسة الخسروية بحلب، وقد توفي بحمص ودفن فيها.

الشيخ عبد الفتاح الدروبي

عالم عظيم، زاهد مترفع عن حطام الدنيا، يتجول في الوعظ والإرشاد، يجلس في القرية شهراً أو أكثر، ينام في المسجد، ويعلم في المسجد، يقرأ القرآن وأحياناً ينشد ثم يعظ. وقد فتح الله به أبواباً من الخير، منها:

أنه كان بسلمية، فكان يتلو القرآن ويفسره، فاهتدىٰ علىٰ يده أناس من الطائفة الإسماعيلية، وكان الفرنسيون بالتعاون مع الإنكليز أتوا بآغا خان للسلمية، فاتبعه أُمَّار سلمية وتركوا الصلاة لإمام الزمان الحاضر في كل مكان، وصار عندهم آغا خان هو إمام الزمان وهو الرب.

وبذلك كان الاصطدام بين دعاة الإسلام من أهل السنة والجماعة وبين الآغا خانيين، فأخرج الفرنسيون الشيخ عبد الفتاح من سلمية، فكان ذلك دعاية للإسلام، لأن الشيخ متواضع لطيف، ولم يجر منه شيء فيه تعكير، ويحتاج إلىٰ مثل هذا التصرف من الفرنسيين، فأسلم كثيرون حقيقة، ولم يزل الإسلام ينتشر، ولم يزل علماء المسلمين يزورون سلمية حتىٰ انتشر الإسلام إلىٰ جدوعة وغيرها.

والشيخ عبد الفتاح الدروبي عالم رباني منور، توفي بحمص ودفن فيها.

الشيخ عبد الكريم أتماز السباعي

من العلماء الأجلاء، كان أحفظ الحفاظ لكتاب الله، وهو إمام الجامع الكبير في حمص، وله حلْقة في الفقه الشافعي أمام محراب الجمعة في الجامع الكبير، وهو من المشهورين بالصلاح، وقد زرته بصحبة الشيخ عبد العزيز في مرضه، فكان منظره منوراً بنور الله.

الشيخ عبد الكريم أتماز السباعي كان مدرساً في التجهيز، ولم يدرس من علماء حمص بالتجهيز غيره.

الشيخ عبد الكريم السباعي

من العلماء، له غرفة في الجامع الكبير، وكانت عنده حلْقة علم، ويلقب بالأحمر، ولعله لشقرة لحيته، وكان يجلس إليه بعض الحفاظ يتدارس معهم القرآن.

الشيخ رفيق السباعي

دكتور طبيب يسكن الشام ولكنه من حمص، وهو من أكبر تلاميذ الشيخ بدر الدين الحسني، وكانت له وظيفة خيرة يجمع الأوراق من الأرض ويحرقها خشية أن يداس عليها. وقد لقيته عدة مرات، وزرته في بيته في دمشق.

الشيخ محمود أتماز السباعي

من علماء حمص صهر الشيخ أبي النصر خلف، وكان مواظباً علىٰ حلقات العلم عند الشيخ سليم وعند الشيخ أبي النصر، وله أولاد وأحفاد بررة أتقياء.

الشيخ فائق أتماز السباعي

وكان عنده مدرسة ابتدائية وحلقاته في النحو والصرف مشهورة عظيمة.

الشيخ عبد الجليل مراد

من علماء حمص الملازمين للشيخ عبد الغفار عيون السود، وللشيخ أبي النصر، وللشيخ عبد القادر خوجة، وهو من العلماء المعدودين، وكان لا يفارق زاوية الشيخ أبي النصر خلف، وكان إماماً وخطيباً لجامع القرابيص، وهو مرجع للعلماء في الرأي.

وله ولد اسمه عبد الرحمن علىٰ قدمه وتأنيه وحكمته، وأولاده كلهم علىٰ طريق الصلاح والتقوىٰ.

الشيخ عبد الخالق الحصني

من علماء حمص، خريج الأزهر، وكان مختصاً بالتفسير، ومدرساً في الجامع الكبير، وكان مدرساً في دار العلوم الشرعية، وهو أحد أساتذتي، ويعتبر من العلماء الناضجين، وكانت لي به صلة عظيمة.

وقد قال لي يوماً: عندي بنت صالحة فهل عندك شاب صالح؟ قلت: نعم، الشيخ محمود سويد، وكان مدرساً عندي، فرج الله عنه ورده إلينا سالماً، وفي المساء زرت الشيخ ومعي الشيخ محمود، وتم العقد بمهر قليل جداً، وفي اليوم الثاني سافر بزوجته إلىٰ وظيفته.

وبعد فترة قال لي: عندي بنت أخرىٰ، فقدمت إليه الشيخ مصطفىٰ عويدات، وكان مدرساً عندي، وتم العقد له بمهر قليل جداً، وفي اليوم الثاني سافر بزوجته.

الشيخ محمود جنيد

عالم رباني، معروف بالعلم والزهد، وقف نفسه لخدمة الإسلام فحلقات العلم مستمرة ليلاً ونهاراً، ويحضر حلقات العلماء الأسبوعية، ويعيش من كسب يده، وهو موظف في الأوقاف، إمام وخطيب، ويرسل إليه الراتب فلا يدخل علىٰ أمواله بل يصرفه علىٰ الفقراء والمساكين وجهات الخير، الراتب يوزع ولا يدخل إلىٰ الدكان، وبفضل الله كانت

العائلة مكتفية ولا تحتاج إلىٰ أحد. لا يقبل الصدقة له أو لعائلته أَلْبَتَّة بل يقبلها ليصرفها بطرق الخير.

له حلْقة في الجامع الكبير مستمرة (فقه وحديث)، وله درس أيضـًا في جامع خالد بن الوليد ﷺ للنساء، كان الشيخ طاهر يقوم به، وبعد وفاته قام عليه الشيخ محمود جنيد.

له دروس في مسجده، وقد تخرج من حلقاته أناس كثيرون سدوا مسداً عظيمـًا في الإمامة والخطابة، وهو مرجع الفتوىٰ، والدكان فيه حلقات علم أكثر من البيع والشراء.

وبعد وفاة الشيخ عبد القادر والشيخ طاهر أصبح الوحيد الذي يرجع إليه، لكن هناك غرفة الجامع الكبير، فيها الشيخ أحمد كعكة والشيخ أبو السعود، يسدون مسداً لا بأس به.

وللشيخ محمود أولاد صالحون يرجىٰ بهم الخير، وكلهم علىٰ قدم والدهم، وأسال الله أن يزيدهم علمـًا وصلاحـًا.

ولما توفي خرجت حمص بكاملها: المسلمون وغيرهم. رحمه الله تعالىٰ.

الشيخ محمد جنـيد

شقيق الشيخ محمود، عالم زاهد، إمام جامع الدالاتي بحمص، يحج كل عام، من حفظة كتاب الله، له علاقات مع الشيخ بدوي في جامع سَيِّدنا خالد ومع الشيخ أحمد المسدي، وكل هؤلاء الذين لهم صفة (المجاذيب)، وكان لا يفتر عن ذكر الله، وقد رزق أولاداً صالحين، قدوة حسنة وأمثلة فاضلة، منهم من استشهد، ومنهم من أوذي في سبيل الله، وأكبرهم:

الشيخ ممدوح جنـيد

العالم الواعظ بقوله وفعله الذي يحبه كل من يعرفه، تحمل أثقال العوائل المتضررة، وهو من الفطنة والذكاء وسداد الرأي علىٰ مستوىٰ عال، يزور الأصدقاء والضعفاء، ويكرم الفقراء، وهو مركز من مراكز الخير، واعظ حكيم وفقيه كريم ومحسن رحيم:

ومن أولاد الشيخ ممدوح: محمد جنيد، وأسامة، ومبشر. وكلهم علىٰ مستوىٰ عال من الصلاح والتقوىٰ.

وبالخلاصة: إن آل جنيد عائلة مرموقة معلومة معروفة بالتقوىٰ والاستقامة والصلاح والخير، وإني أدعو من صميم قلبي للشيخ ممدوح وأولاده، وأسال الله أن يزيدهم علماً وفضلاً وأن ينفع بهم.

الشيخ محمد علي العتر

من بلدة القصير تخرج من دار العلوم الشرعية بحمص، وبقي في حمص موظفاً بالأوقاف، وهو من زملاء الدكتور مصطفىٰ السباعي، والشيخ عبد الباسط أبو النصر، وهو خطيب مفوه وكاتب يحسن العرض، وقد سكنت عنده في البيت عدة سنوات بعد وفاة أخي عبد الباري، وهو من طلاب العلم الشرعي البارزين والمحبوبين.

الشيخ عبد الله الزهري

من زملاء الدكتور مصطفىٰ السباعي والشيخ عبد الباسط أبو النصر، وهو من طلاب العلم الشرعي البارزين، تخرج من دار العلوم الشرعية، وهو إمام وخطيب في جامع الحنابلة بحمص، ويعمل بالتجارة، له دكان علىٰ الساحة العامة والساعة بحمص.

وكان له علاقة بسبب التجارة وبسبب كرم الشيخ عبد الله مع الشيخ حسين سمرو العالم المجتهد الشيعي في الغور، أكبر قرية للشيعة في سورية، وهي إلىٰ جانب قريتي (قرية تَلْدَوْ).

وقد كان ما يزيد علىٰ سبعين طالباً يدرسون عندي في ثانوية علي بن أبي طالب الخاصة، وقد أوصىٰ الشيخ حسين سمرو قبل وفاته أهل الغور بأن محمد علي مشعل هو مرجعكم بعد وفاتي، وفعلاً كانت محاكماتهم ومراجعاتهم وتقسيم إرثهم عندي، كما أن النصيريين (العلويين) كذلك،

فمحاكماتهم وفتاواهم وتقسيم ميراثهم عندي، وعند والدي وعمي من قبل، وطلابهم يدرسون عندي في ثانوية علي بن أبي طالب الخاصة التي سميتها هذا الاسم لأجلهم (يعني أنه من جملة الأسباب في التسمية، فالأمور التي تدعو للتسمية كثيرة).

وقد جربوا فوجدونا محبين لآل البيت، ووجدوا منا الوسطية والاعتدال وعدم التطرف، ووجدوا حب الصحابة، وحب أهل الخير، ووجدوا أنا حريصون عليهم، فقد بنينا المسجد في الغور ووضعنا له إماماً علىٰ حسابنا.

الشيخ نديم الوفائي

طالب علم نشيط تخرج من المدرسة (دار العلوم الشرعية)، إلا أن له أراء واجتهادات، فابتعد عن خط علماء حمص ولم يعادِ أحد ولم يعادِهِ أحد.

وكان خطيباً وله أنصار وأحباب وإخوة، وكان له تعقيب معاملات في السرايا (دار الحكومة)، وله مكتب من أجل ذلك، وكان إماماً وخطيباً لجامع التركمان.

الشيخ جميل مدور

من زملاء الشيخ عبد الله الزهري، وكان إماماً وخطيباً لجامع في حمص، وكان لطيفا ظريفاً يألف ويؤلف، يرجىٰ فيه الخير، وله أحباب، وكان له مجال في الإصلاح وحل المشكلات، ويدرس في المعهد الشرعي بحمص.

الشيخ حسن شمس الدين

من زملاء الشيخ جميل والشيخ عبد الله الزهري والشيخ محمد علي العتر، وكان يشتغل بالتجارة معه، وكان إماماً وخطيباً لمسجد بحمص، ويدرس في المعهد الشرعي بحمص.

الشيخ محمد علي الدرة

من خريجي المعهد الشرعي بحمص وهو من الأوائل، وكان إماماً لمسجد قرية السنكري بعد أن دخل أولاد الشيخ شعبان في الإسلام، وتبعهم جماعة، وقد بقي مدة إماماً هناك وكان له نفع كبير، وقد اشتغل بالتأليف، وله شرح قواعد اللغة العربية، وله إعراب القرآن الكريم، وله مؤلفات أخرىٰ، وهو من الخطباء البارزين، وهو الآن خطيب لمسجد آل السباعي بحمص، وكأني سمعت أنه يخطب بدير بعلبه.

ملاحظة مهمة: [المعهد الشرعي]

كانت مدرسة دار العلوم الشرعية تُخَرِّجُ العلماء حتىٰ تغير النظام، فحولت مدارس الأوقاف بقصد الإصلاح إلىٰ مرحلتين:

متوسطة وثانوية، وأدخلت عليها بعض المواد، فوجد العلماء أن هذه المدرسة ضعفت، فعولوا علىٰ إنشاء مدرسة سميت (المعهد الشرعي) باسم الجمعية، وهذا المعهد يدرس فيه الشيخ عبد الفتاح المسدي (وهو المدير) والشيخ وصفي المسدي، والشيخ أحمد كعكة، والشيخ حسن شمس الدين، والشيخ محمد الدرة، والشيخ أبو السعود عبد السلام، والشيخ جميل مدور، وبعد مدة دخل شيوخ آخرون.

وقد تخرج من هذا المعهد عدد كبير يسدون بعض الحاجة للمساجد أئمة وخطباء في حمص وفي قراها، وقد بلغني أن في هذا المعهد ٣٠٠ طالب و٥٠٠ طالبة الآن، وأسال الله أن يدوم هذا المعهد تحت رعاية الصالحين وينفع به المسلمين.

الشيخ عبد المعطي شمسي باشا

والدته خليفة للشيخ سليم صافي، وهي بنت الشيخ سليم صافي، واسمها خيرات، كان معلمـًا في تَلْدَوْ، وكان زميلي في دراسة كلية الشريعة في جامعة دمشق، وهو أول من أنشأ الفتوة في حمص، وكان له أسلوب في

الدعوة، فإذا عين في المدرسة معلماً، في اليوم الثاني أو الثالث يأخذ جميع طلابه إلىٰ المسجد مما حير أعداء الإسلام.

وكان كريما جداً، ووالدته الشيخة خيرات بنت الشيخ سليم صافي، وكانت خليفة نقشبندية تدير الختم للنساء، وهي عالمة وواعظة رحمها الله تعالىٰ.

ولما خرجت من المدرسة اليوسفية ألحت علىٰ الشيخ عبد المعطي أن يأتي بي لزيارتها فزرتها، ودعت لي، ولما هاجر الشيخ عبد المعطي إلىٰ السعودية وكان في الرياض توفيت رحمها الله في الرياض.

والشيخ عبد المعطي بقي في الرياض وعمل إماماً في مسجد السليمانية في الرياض، وجرت حادثة أنه خرج من المسجد بعد أداء صلاة المغرب متجهاً إلىٰ مكتبة المسجد وهي موجودة في صحن المسجد، وبعد لحظات من خروجه سقط سقف المسجد كله، وبقيت المكتبة سليمة، وخرج الشيخ سليماً، فعد ذلك من إكرام الله للشيخ عبد المعطي، وتوفي الشيخ عبد المعطي بالرياض، وله أولاد بررة أتقياء.

من الحوادث الجميلة:

كنت مع الشيخ عبد المعطي والشيخ عبد الإله شربك والشيخ عبد الحكيم بحلاق ندرس في الفندق في دمشق عندما كنا في الفحص في كلية الشريعة، وقد وزعنا المسئوليات، فمنا من عليه تقديم الشاي، ومنا من

علية تقديم القهوة. ... وكنا نأكل معـًا وننام جميعـًا ونستيقظ جميعـًا، وفي يوم أصبح الشيخ عبد المعطي وعنده إمساك فاشترىٰ دواء مسهلاً، فأبىٰ أن يشرب وحده وشَرَّبَنَا جميعـًا وهو يضحك ونحن نضحك، كل ذلك تعبير عن وحدة القلوب والعمل والتصرف، رحمه الله تعالىٰ.

الشيخ عبد الإله شربك

أخي في الله، عين مدرسـًا عندي في ثانوية علي بن أبي طالب الخاصة في تَلْدَوْ، فكان خير المدرسين وخير أخ، وخرج مهاجراً إلىٰ الكويت، ولما انتهىٰ عقده أصبح الآن في عمان.

الشيخ عبد الحكيم بحلاق

من طلاب العلم النابهين والمدرسين الناجحين، ولم يهاجر، وقد أصبح فيما بعد موجهـًا في حمص، وهو من أهل البر والتقوىٰ ولا نزكي علىٰ الله أحداً، وقد كان سابقـًا مدرسـًا عندي في ثانوية علي بن أبي طالب الخاصة في تَلْدَوْ، بعدما تخرج من كلية الشريعة، جزاه الله خيراً.

ومن العاملين المعروفين الشيخ وحيد بحلاق وهو من الشباب النشيطين العاملين في حقل الدعوة وله أثر طيب.

الشيخ عبد الكافي الأبرش

أخي في الله، سار في طريق العلم، وحصل علىٰ الثانوية، ثم علىٰ ليسانس في الشريعة، عين مدرسـًا في المدارس الثانوية بحمص، وهو من المبرزين في خطبة الجمعة والمحاضرات العامة والمواعظ الخاصة والعامة، كان خطيبـًا في جامع الإيمان، وعندما نُسِبَ إِليَّ شي من الزور والبهتان دافع عن ذلك علىٰ المنبر.

وهاجر إلىٰ المملكة ونجا بأعجوبة، وعُيِّنَ مدرسـًا في أبها، وهو الآن تابع لرابطة العالم الإسلامي في فرع إعجاز القرآن، وقد قام بعمل عظيم في هذا المجال، ولا يزال.

وقد كان قبله الدكتور عبد المجيد الزنداني والدكتور حسين القاسم أبو حمزة.

والده الشيخ نجم الدين الأبرش كان مرافقـًا للعلماء، ومثالاً للتقوىٰ والفضيلة والأخلاق الكريمة.

وشقيقه الشيخ عدنان الأبرش المربي العظيم، وكان خطيبـًا في جامع النور، وله دروس ومتابعة للشباب تعليم وتربية، وهذا المسجد قلعة من قلاع الإسلام في حمص، وهو الآن في حالة عمار، في المملكة العربية، وله أولاد بررة أتقياء.

الشيخ بديوي السباعي

إمام الشافعية في الجامع الكبير، وهو من العلماء الحازمين الأنيقين في اللباس والعمامة، ومن الذين لهم مهابة وتقدير، وله ثلاثة أولاد:

١) روحي: وهو شخص طيب، ولكن ليس من العلماء.

٢) والشيخ محمود السباعي: وكان إماما للشافعية في الجامع الكبير بعد والده، وكان مدرسًا في دار العلوم الشرعية قبل التغيير وبعد التغيير، وكان من أساتذتي في الصف الثاني والثالث وأستاذ الجغرافيا جزاه الله خيراً، وهو من الطيبين أهل اللطف، كثير الابتسام مزوح مع الأدب.

٣) والشيخ صلاح السباعي: وكان أيضًا من حملة العلم الشرعي، وكان مديراً لأوقاف حمص، وكان لطيفًا جداً، وكان يمازحني، وله أثر طيب في الأوقاف، رحمه الله تعالىٰ.

ولم أعلم خلفًا من أولاد الشيخ بديوي السباعي طالب علم، وهذا البيت بيت علم.

الشيخ عدنان السقا

من العلماء الأفاضل الذين وهبوا أنفسهم للدعوة، وقد سلك طريق الشاذلية علىٰ الشيخ عبد القادر عيسىٰ، وسلك معه الطريق الشيخ رياض

طليمات، والشيخ عز الدين الحاج يونس، والشيخ إسماعيل المجذوب، واستخلف الشيخ عبد القادر عيسىٰ الشيخ عدنان في حمص.

وهو من فضل الله تعالىٰ القدوة الصالحة في العلم والعمل والتواضع وخدمة الناس وقضاء الحاجات، وله أعمال تُذْكَرُ وتُشْكَرُ، وهو في كل ميدان سبّاق، والشيخ رياض يرافقه، وهما في جدة، ولهما مقام رفيع وباع عظيم في التربية.

وبيت الشيخ عدنان مقصود من طلاب العلم ومن المريدين ومن ذوي الحاجات، وضيوفه كثيرون، ومسجده ملتقىٰ الحماصنة.

وقد توفي ابنه فهمي بعد أن بلغ مبلغ الدعاة وأصبح أهلاً لخدمة الدعوة بحادث سير في سورية، فكان الشيخ عدنان من الصابرين وقدوة للصابرين، وله والحمد لله ابن نأمُلُ فيه خيراً كثيراً إن شاء الله.

أما الشيخ رياض طليمات فله قدم راسخة في الدعوة، وله خطب متواصلة وأحاديث كثيرة في هذا الميدان، وله أولاد بررة أتقياء حفظة نابهون، وهم من الشباب الذين يضرب بهم المثل للدعوة والاستقامة.

وأما الشيخ عز الدين الحاج يونس فهو من العاملين في حقل الدعوة، وله قدم في الإصلاح والتقريب بين دعاة الإسلام، وله أولاد صالحون.

وأما الشيخ إسماعيل المجذوب فهو من العلماء العاملين الذين لا يكلون ولا يملون، وهو من أهل الوعي والفقه الإسلامي، وهو حريص

علىٰ حلقات العلم وتخريج شباب يقومون بالدعوة إلىٰ الله وإرشاد الناس، والقلوب تجتمع عليه وتحترمه، وترىٰ فيه القدوة الحسنة والمثل والطيب.

الشيخ مؤيد شمسي باشا

من علماء حمص، وعائلة شمسي باشا علي المذهب الحنبلي في حمص، ولا يوجد علىٰ المذهب الحنبلي غيرها، وكان الشيخ مؤيد عالماً خطيباً وواعظاً، ويفتي علىٰ المذهب الحنبلي، وكان تاجراً يبيع الأجواخ، وأكثر الجبب التي يلبسها العلماء في حمص تُشْتَرَىٰ من دكانه، وفيه أخوه **الشيخ نصوح شمسي باشا**، وهو من طلاب العلم الأبرار الأخيار، لطف وعلم وخلق.

وللشيخ مؤيد أولاد بررة أتقياء منهم: نجم الدين وقد أصبح محامياً وله باع كبير في هذا المضمار، ومنهم نور الدين وكان مدرساً في الكويت، وله ذكر حسن وثناء حسن.

وللشيخ نصوح أولاد بررة منهم الشيخ عبد الواسع شمسي باشا، وهو من خيرة طلاب العلم علماً وعملاً، وله ذكر حسن، وهو من المتفوقين في اللغة العربية وفي النحو.

الشيخ مرعي الضاهر

من تلاميذ الوالد، وكان إماماً في موسىٰ الحولة، ثم طيبة سيدي خالد، ثم تلذهب، وكان من خيرة الدعاة، وقد عُيّنّاه إماماً في قرية شين، بعد بناء مسجد بلال الحبشي فيها، وقد تقلب في عدة قرىٰ، وفي كل قرية يترك أثراً طيباً من جهة صلاة الجماعة، ومن جهة الأخوة، ومن جهة حب العلماء.

ومن أولاد الشيخ مرعي: **عبد الله الضاهر**، وهو من أهل العلم والمعرفة والفهم والأدب والذوق، وله أولاد طيبون، وأصبح إماما في كفرلاها ثم في الطيبة. وللشيخ مرعي أولاد غير عبد الله.

الحاج محمد غاوي التركماني

من تلاميذ الوالد، وقد تتلمذ أيضاً علىٰ يد عمي الشيخ حسين مشعل، وقد أصبح إماماً في برج قاعي بعد خروج عمي من القرية، ثم انتقل إلىٰ طلف، وأصبح إماماً بها.

وابنه محمد نور من طلاب العلم الجيدين، استلم إمامة قرية طلف واستمر بها حتىٰ الآن، فهو إمام قرية طلف.

خاتمة

وعلماء حمص كلهم أخيار أبرار متواضعون، وحريصون علىٰ حلقات العلم، وبعيدون عن الحزبيات، وكلهم مع الشيخ عبد القادر من جهة، ومع الشيخ محمود من جهة، فالمذهب الحنفي عند الشيخ عبد القادر، والمذهب الشافعي عند الشيخ محمود، وكل دعاة الإسلام مع الشيخين ومع علماء حمص، ولذا فإن الصوفية وجمعيات العلماء والوعظ والإرشاد كلها في صف واحد، وكان علماء حمص كلمة واحدة.

أسسنا جمعية إصلاح ذات البين في حمص، وأعضاؤها من جمعية العلماء ومن رجال الدعوة، وكان لها أثر طيب في الخلافات، فعدة خصومات بين أفراد وبين جماعات أو عشائر أو عوائل حلت بفضل الله وكرمه. وكان هناك خلاف قوي بين عائلة الملحم من بدو حمص وبين عائلة في الصابونية أو قريبا منها، وكان يخشىٰ وقوع قتالٍ دامٍ يسقط فيه قتلىٰ وجرحىٰ، فوفق الله سبحانه والتقينا بالطرفين، وكان الحل الحسن الذي فيه السلامة، وكان للصلح أثر طيب، فكلا الطرفين اعتبروا هذا الصلح نجاة وسلامة، والجيران في القرىٰ المجاورة فرحوا بهذا أشد الفرح، وجاءنا الشكر والثناء من كل جهة، والحمد لله.

وكان خلاف بين جماعتين إسلاميتين من الجمعيات الخيرية، وكان الخطر محدقًا، والتهديد واقعًا، ودخول جمعية العلماء كان له أكبر الأثر، وعندما سمع الطرفان الأحاديث النبوية في ثواب الصلح وتحريم الحقد والبغضاء والاعتداء، وأن هذه الأمور حرب علىٰ الإسلام دين الله، وأنها تجلب البلاء في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة، وأن الأخوة في دين الله والحب في الله أوثق عرىٰ الإيمان، فقد قال ﷺ "أوثق عرىٰ الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله"، والحديث له صيغة جذابة، قال ﷺ: "هل تدرون أي عرىٰ الإيمان أوثق؟" قالوا: الصلاة. قال: "حسنة وما هي بها". قالوا: الصيام. قال: "حسن وما هو بها. أوثق عرىٰ الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله". صحيح.

وكان هناك مسعىٰ من قبل جمعية العلماء بحمص من أجل بقاء درس الديانة درسًا أساسيا في الإبتدائي والإعدادي والثانوي والجامعة، وكان هناك فكرة إلغاء درس الديانة، فهزم الله أعداء الإسلام وانتصر الحق. وكانت المساعي في مثل هذه الأمور عظيمة، مثل التعليم المختلط وبقاء درس الدين والأخلاق في مكانتها. وكانت تتم مقابلة المسئولين: رئيس الجمهورية ووزير الدفاع ووزير التربية والتعليم. وكانت هذه المساعي تحت لواء الجمعية جمعية العلماء، ولي أعوان بالدعاء وبالعمل وبالتأييد والنصرة، والحمد لله أولا وآخرا.

وقد حَرَصت جمعية العلماء بعد أن حققت جمع كل دعاة الإسلام أن تزور المحافظات، وتجمع كلمة دعاة الإسلام في حلب وفي دمشق وفي حماة وفي اللاذقية، ثم تزور كل الحكومات الإسلامية لجمع الكلمة ووحدة الصف، ولكن قدر الله علي وخرجت متعاقداً مع جامعة الإمام في السعودية.

وطريقة النقشبندية هي طريقة صوفية، والصوفية عندها حقيقة الإسلام لا شيء آخر، فإذا خرج منها أي أمر غير إسلامي فهذا خطأ فاحش. وهي مروية بسند يتصل بأبي بكر الصديق ﷺ ، وكل أمورها متطابقة مع الإسلام. ولذا فإن خلفاءها: الشيخ أبو النصر خلف ووالدي حاج محمد مشعل والشيخ حسين الطيباني والشيخ أحمد التلاوي علماء ملتزمون للإسلام عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقا، وقد فتح الله عليهم بطريقة سريعة وعجيبة، وحقق علىٰ أيديهم ما يدهش، وعلىٰ الأخص الشيخ أبو النصر ووالدي والشيخ حسين الطيباني. وأما الشيخ التلاوي فليس له ولد، وانحصر عمله في حمص قليلا وفي تلبيسة كثيرا. وأما الثلاثة فقد انتشرت دعوتهم كثيرا جداً.

ونذكر تحدثا بنعمة الله لا للتفاخر بأن العلماء كانوا لا يقصرون في مراجعة المسئولين وبذل الجهد معهم للقيام بالأمور الاجتماعية والدينية والبعد عن الأخطاء، مثلا:

١. القيام بإصلاح ذات البين وخاصة بين العشائر والجماعات.

٢. مراجعة الحكام بإخراج الشباب المتحمسين للدعوة من السجون، ومحاربة تماثيل الزعماء التي تشبه الأصنام، والبعد عن الأفلام القبيحة في السينما، وإثبات درس الديانة في المدارس، ونشر الحجاب للنساء، وإبعاد الميوعة والتزين من قبل النساء للعرض في الأسواق والمجتمعات.

٣. وكان هناك بالمحاضرات توجيه للتجار بالتزام الإسلام في عقودهم ومعاملاتهم ومراعاة الأخوة الإسلامية في كل المحادثات والمناقشات. وتوجيه للعامة في التزام الآداب والأخلاق وفي التوصية بالسلوك الحسن، وتكرير حديث الرسول صلىٰ الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وتكرير الحديث: "المؤمن ليس بحقود"، والحديث: "الحقد والإيمان لا يجتمعان في قلب واحد". وتوجيه العامة لنشر التحية بالسلام، وصباح الخير ومساء الخير لا يكونا إلا بعد السلام والأفضل أن يقول في الصباح بعد السلام: صبحكم الله بالخير، وفي المساء بعد السلام: مساكم الله بالخير.

٤. والعلماء وجدوا أيضا أن اللقاء بالرؤساء والمسئولين ينبغي أن يتم من قبل وفد من العلماء من أجل المواضيع الهامة.

نبذة عن علماء حمص الذين عاصرتهم

الشيخ مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللَّهُ

(١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م) - (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)

بقلم الشيخ محمد علي مشعل رَحِمَهُ اللَّهُ

لمحة موجزة

عن حياة العالم المجاهد الداعية

الشيخ مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللَّهُ

١٩١٥م – ١٩٦٤م

وهو مصطفىٰ بن حسني السباعي، من مواليد مدينة حمص في سورية

أولاً: ولادته:

ولد هذا العالم من عائلة كبيرة وشريفة، تعد من أكبر عوائل حمص، ونشأ في أسرة علمية عرف رجالها بالعلم والتقىٰ، كان والده وأجداده يتولون الخطابة في جامع حمص الكبير، ومن أشهر علماء تلك الأسرة:

الشيخ عبد الكريم أتماز السباعي، كان من حفظة كتاب الله، كما كان إماماً للجامع الكبير بحمص، وله فيه حلْقة علم يدرس فيها الحديث والفقه الشافعي.

ومنهم الشيخ محمود أتماز السباعي، والشيخ فائق أتماز السباعي، والشيخ عادل أتماز السباعي، والشيخ بدوي السباعي، وهو إمام في الجامع الكبير بحمص عليهم رحمة الله جميعاً.

ثانيا: نشأته العلمية:

كان رحمه الله منذ صغره يصحب أباه إلىٰ مجالس العلم التي كان يحضرها علماء البلدة أمثال الشيخ طاهر الرئيس، والشيخ سعيد

الملوحي، والشيخ فائق الأتاسي، والشيخ راغب الوفائي، كما تتلمذ رحمه الله علىٰ مجموعة من المشايخ الأكفاء الثقات كالشيخ زاهد الأتاسي، والشيخ أنيس الكلاليب، والشيخ محمد علي عيون السود، والشيخ محمد الياسين، والشيخ أحمد صافي، والشيح عبد القادر خوجة، ومفتي بلدة حمص الشيخ طاهر الأتاسي.

تلقىٰ علومه علىٰ أولئك الشيوخ وغيرهم في دار العلوم الشرعية بحمص، ولما أتم تحصيله العلمي، وتخرج من تلك الدار، اتفق أساتذته علىٰ إرساله إلىٰ الأزهر الشريف ليتابع دراسته العليا، وكلموا مدير الأوقاف بذلك، فابتعثته الأوقاف علىٰ حسابها، وذلك لما كان يبديه من نشاط علمي واجتهاد في التحصيل، وكان ذهابه إلىٰ مصر للدراسة في الأزهر عام ١٩٣٣م.

وفي خلال وجوده في مصر شارك إخوانه المصريين في النضال ضد الاحتلال البريطاني، وقاد المظاهرات وألقىٰ الخطب، فاعتقلته السلطات المصرية بأمر من الإنجليز مع مجموعة من زملائه الطلبة، وبقي في السجن قرابة أربعة أشهر، ثم أطلق سراحهم بكفالة.

وكذلك اطلع علىٰ مطاعن أبي رية في السنة المطهرة، كما اطلع علىٰ ما كتبه أحمد أمين في ضحىٰ الإسلام وغيره، فساءه ذلك، وتألم لسماعه ما

يسيء إلىٰ الإسلام ونبيّه، فانبرىٰ للدفاع عن ذلك، وكانت له تلك الردود الموفقة التي رد بها علىٰ أبي رية وسائر المستشرقين، وأحمد أمين ومن علىٰ شاكلته من العلمانيين، وألف كتابه الشهير (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي)، وغدا هذا الكتاب القيم مرجعاً لكل من دافع عن السنة ورواتها الأبرار، وبخاصة أبو هريرة رضي الله عنه، وإني أوصي بقراءته.

ولما أتم دراسته في الأزهر رجع إلىٰ سورية، وعمل مدرساً في مدرسة دار العلوم الشرعية بحمص، وكانت يومئذ ستة صفوف دراسية بإدارة الشيخ زاهد الأتاسي، فدرس فيها تاريخ التشريع الإسلامي لطلاب الصف السادس، وكنت يومها في الصف السادس، ولم تطل إقامته في حمص حيث انتقل إلىٰ دمشق، وعين مدرساً في جامعتها وهو لا يزال في ريعان شبابه وبعمامته وجبته.

كان عالما من علماء المسلمين، توفرت فيه خصائص الداعية المسلم الواعي مشاكل عصره، البصير بالمكايد والدسائس التي تدبر لدينه وأمته، الغيور علىٰ الإسلام والمسلمين.

وكان يخطب الجمعة في الجامع الكبير بحمص ويجتمع عليه الناس يتداعون لسماع خطبته، وكان قوي التأثير في السامعين، لا يمل أحد،

يجذب قلوبهم بما آتاه الله من منطق سليم وأسلوب كريم، وقد كان يذكر بأنه من أكبر خطباء عصره.

رحمه الله حارب البدع وكان مع السادة علماء حمص يقيمون حفلة أسبوعية تلقىٰ فيها المحاضرات في مساجد المدينة، وكان دومًا أحد المحاضرين فيها. أسهم في الصحوة الإسلامية لحد بعيد، وأسهم في بناء الدعوة في حمص، وينتقل في محافظات سورية ويلقي المحاضرات، وكان الناس ينتظرون قدومه في المدينة والريف للاستماع إليه.

ووجد المصلحة أن يستقر في دمشق ويسهم في تربية الجيل المسلم، ويتابع مسيرة الصحوة الإسلامية. وعين مدرسًا في جامعة دمشق في كلية الحقوق وكلية الشريعة، وأصبح رئيسًا لقسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق، وأستاذ الأحوال الشخصية في كليتي الشريعة والحقوق.

وقد ذكر الدكتور محمد الفاضل أنه عندما عين مدرسًا في الجامعة كانت تقتحمه الأعين من أساتذة الجامعة، ولكن بعد أن عرفوه وعرفوا منزلته العلمية وثقافته الفكرية صاروا يحترمونه إذا تكلم، ويتابعونه بإعجاب وتقدير، عليه رحمة الله.

تابع نشاطه الدعوي، ووفقه الله سبحانه لتأسيس كلية الشريعة بجامعة دمشق، حيث دخل علىٰ الرئيس هاشم الأتاسي، ولم يخرج من عنده حتىٰ

وقّع المرسوم الجمهوري بإنشاء كلية الشريعة في جامعة دمشق، وكان نصراً عظيمـًا وفتحـًا كبيراً، حيث كانت تلك الكلية حسكة في حلوق أعداء الإسلام، وخنجراً حاداً في صدورهم، وأصحبت تلك الكلية قلعة من قلاع الإسلام، وتخرج طلبة العلم الشرعي الأكفاء.

وكان هو رحمه الله عميد كلية الشريعة، واختار لها بنفسه مدرسيها من علماء الأزهر وغيرهم، ممن كانوا يملؤون القلب والعين، أمثال الشيخ أبي سنة وغيره، ومن علماء دمشق المفتي الدكتور أبو اليسر عابدين، والسيد المنتصر الكتاني.

جماعة الإخوان:

وفي مصر وخلال دراسته في الأزهر الشريف تعرف علىٰ الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله وأعجب به، وظلت الصلة قائمة بينهما حتىٰ بعد عودته إلىٰ سورية، حيث اتفق مع العلماء والدعاة ورجال الجمعيات الإسلامية في سورية، وقرروا توحيد صفوفهم والعمل علىٰ إنشاء جماعة واحدة تدعو إلىٰ الإسلام في عموم القطر السوري، وكان ذلك عام ١٩٤٢م.

وكانت قبل ذلك الرابطة الدينية، ثم شباب محمد صلىٰ الله عليه وسلم، ثم الإخوان المسلمون، وكثر المنتسبون وأصبح العدد كبيراً جداً، وقد اطلعت اطلاعـًا سريعـًا علىٰ مجلد ضخم فيه أسماء المنتسبين، فيندر

من الأشخاص الذين لهم في البلد ذكر إلا ومروا بالإخوان المسلمين، والأشخاص الذين كان لهم شأن، الدكتور عبد المجيد الطرابلسي وإخوانه، والشيخ نصوح السباعي شقيق الدكتور السباعي وأشقاؤه، والأخ عبد الجليل البيطار، والأخ أديب علوان، والشيخ عبد الوكيل صافي، وعبد المولىٰ، والشيخ عبد الجليل، والشيخ زين، والأخ عبد الفتاح كسيْبِي، والأخ محمد طيب خوجة، والشيخ عبد المعطي شمسي باشا، والشيخ محمود صافي، وسيف الدين دياب، والشيخ نسيب السباعي، والشيخ عبد الكافي الأبرش، والشيخ عبد الباقي رمضون، والشيخ عدنان الأبرش، والأستاذ محمود الطرشة، وكان له باع طويل في تأسيس مركز حماة وحلب وإدلب واللاذقية ثم دمشق.

كما كان قد أسس المعهد العربي الإسلامي في حمص باسم الإخوان المسلمين، واستخرجت رخصة المعهد باسم الأستاذ عبد المجيد الطرابلسي.

وكذلك أخذ يخوض معركة الإصلاح الاجتماعي ومحاربة الفساد المنتشر في أبناء الأمة، ليعيد صياغة الشباب علىٰ منهج الإسلام، الذي يعني تربية الفرد المسلم أولاً، ثم الأسرة المسلمة، ثم المجتمع المسلم، لتكون الثمرة قيام الحكومة المسلمة التي تحكم بشرع الله وتنفذ أحكام

الله، وترعىٰ بذلك مصالح البلاد والعباد، وتقضي علىٰ مواطن الشر والفساد، وتحارب الزيغ والإلحاد، ولذا عمل مع إخوانه علىٰ إدخال التربية الإسلامية في مناهج التعليم، وله جولات ضد الفرنسيين في سورية، كما أنه قاوم ما يسمىٰ بخميس المشايخ في مدينة حمص حتىٰ ألغاه وأبطله، وسيأتي ذكره.

[جمع الكلمة]

نعم لقد قام رحمه الله بعمل عظيم في حمص ودمشق وغيرهما من المحافظات، حيث جمع كلمة العلماء في دمشق لأول مرة بشكل أدهش كل عاقل ومؤمن، وتألفت بسعيه الجبهة الإسلامية، وجعل مركزها جامع دنكز.

كما تشكلت الجمعية الغرّاء من الشيخ أبو اليسر، والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، والشيخ حسن حبنكة، والشيخ مكي الكتاني، والشيخ صالح فرفور، والشيخ أحمد الدقر، والشيخ عبد الكريم الرفاعي، والشيخ منلا رمضان، والشيخ سعيد البرهاني، والشيخ أحمد كفتارو.

كما استطاع أن يأتي بالدكتور معروف الدواليبي، والشيخ مصطفىٰ الزرقا والأستاذ محمد المبارك إلىٰ الوزارة،

وقد رشح للنيابة، وشكل قائمة كاملة نجحت كلها، وكان هذا المجلس مجلساً تأسيسياً للدستور، أجمع رجاله علىٰ أن ينص في

الدستور أن دين الدولة الإسلام، وأن الفقه الإسلامي مصدره التشريع، وأن ينص فيه علىٰ محاربة الإلحاد، وحماية الأخلاق.

وقد رشح في كل محافظة عالم أو اثنان أو ثلاثة، وقد نجح عن حماة الشيخ محمود الشقفة، وترشح عن حمص الشيخ أنيس الملوحي ولم ينجح، وترشح عن حلب ... .

ولم تتم رغبة الشيخ في أن يكون من مواد الدستور أن دين الدولة الإسلام، ولكن وضعت في مقدمة الدستور – وهي جزء من الدستور – الجملة التالية:

"ولما كانت أكثرية السكان تدين بالإسلام، فإن الدولة تعلن استمساكها بالإسلام ومثله العليا".

وهذه المقدمة تعتبر جزءاً من الدستور، لا يجوز فصلها، ولكن هذا لم يرض العلماء واعتبروه تراجعًا كبيراً، واعتبره السباعي نصراً كبيراً في تلك الأيام، وهذا يدل بوضوح علىٰ أن الماسونية والعلمانية متمكنة، من قبل رجال الحزب الوطني وحزب الشعب ومن يساندهما من عناصر الإلحاد والكفرة.

خميس المشايخ:

كان هذا الخميس موسمًا اقتصاديًا لمدينة حمص، ينزل الناس إليها من القرىٰ والأرياف ليشاركوا المشايخ (مشايخ التصوف)، حيث يخرج

أولئك الشيوخ علىٰ اختلاف طرقهم يركبون الخيول، وتظللهم البيارق الكبيرة، ويسير وراء كل شيخ أتباعه من المتصوفة، يضربون بالدف وينقرون عليه (وهو ما يسمىٰ المزهر) وتعلق علىٰ إطاره الصنجات والخلاخيل، وينشدون الأناشيد التي تعلموها من شيوخهم، وكل شيخ طريقة ومعه تلاميذه وسناجق، تتقدمهم لوحة يحملها رجلان وقد كتب عليه اسم الشيخ والطريقة التي ينتسب لها، ويبدأ التجمع قبل صلاة الظهر أمام مسجد خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وبعد الظهر يتوجه الموكب بأجمعه إلىٰ قرية تقع في الغرب الجنوبي من مدينة حمص تسمىٰ (قرية باب عمرو)، وفيها قبر عمرو بن معد يكرب وإلىٰ جانبه مسجد القرية.

وهناك يُمضي الناس أوقاتَهم بالبهجة والفرحة والدبكة، ويختلط الرجال بالنساء! ويرتفع المزمار والغناء، ويعقد الشباب الدبكات، ويحصل في ذلك من المنكرات باسم الدين وشيوخه، كالرقص والضرب بالشيش والسيف وما أسموه بالرحمانية، وتزايد الأمر وتوسع، حتىٰ صارت فيه منكرات، وصار موسماً لأمور غير شرعية، وظهرت منكرات عدا ضرب الشيش والرحمانية والسيف.

ولا يفوتنا أن نذكر أن الشيخ جميل العقاد، وهو من الشيوخ الكبار المتخرجين من الأزهر من حلب، كان يزور حمص أسبوعياً، ويحضر

أيام الاحتفال، وكان واعظًا جيداً، وله أسلوب محبوب ومشوق، فيُدرس في الجامع الكبير، حيث يجتمع المسلمون، ويلقي الدروس يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وكان يقول: سموه عيد الربيع بدلاً من خميس المشايخ، فالمشايخ لا نصيب لهم فيه، وكانت تعبيراته محبوبة وجميلة لا ينفر منها السامعون، وكان يحتفل به علماء حمص، وفي الفطور عدد كبير عدا الغداء والعشاء، وكان مجيئه في خميس المشايخ له شأنه.

وكأن حماة قد أخذتها الغيرة، وامتدت هذه العادة السيئة إلىٰ حماة، فصار للمشايخ خميس فيها يجتمع الناس فيه علىٰ ما ذكرنا، من اللهو واللعب باسم الدين وضرب الشيش والسيف وأكل النار ودوس المشايخ وهم علىٰ الخيول فوق ظهور الرجال، حيث ينام الناس إلىٰ جانب بعضهم وتدوس الخيول علىٰ ظهورهم.

آلم هذا الفساد وهذه العادات السيئة، التي اختلط فيها الحابل بالنابل الشيخ مصطفىٰ السباعي رحمه الله، فبدأ يلفت الأنظار إلىٰ مساوئها، ويدعو الناس للتخلي عنها بعد أن استشار الشيخ عبد القادر خوجة، فأذن له الشيخ في مقاومة ذلك، وخطب خطبة الجمعة في هذا الموضوع، وأبان ما فيه من فساد وأجاد، وذكر أصل هذه الأعلام والسناجق ومن أحدثها، وبذلك هدم ما يسمىٰ بخميس المشايخ في حمص وحماة في خطبة واحدة.

وكان الناس يغضبون لهذا، لأنهم اعتادوا عليه، فكانوا يأتون إلىٰ الشيخ عبد القادر خوجة، ويسألونه عن رأيه بما فعل الشيخ مصطفىٰ وبما قال، فيجيبهم الشيخ عبد القادر خوجة رحمه الله بحكمة وروية، بقوله: خميس المشايخ بدعة ليس من الإسلام، والشيخ مصطفىٰ إنما يحارب بدعة، فيذهبون متقاعسين، ويأتي غيرهم إلىٰ الشيخ، ويجيبهم بنفس الجواب.

لقد كان الشيخ مصطفىٰ رحمه الله يتمتع بالصراحة والصدق والجرأة في دعوته إلىٰ الله، لأنه تربىٰ علىٰ أيدي العلماء الثقات، من أهل السنة والجماعة في حمص، كما تربىٰ في الأزهر الشريف علىٰ يد العلماء المشهود لهم بالتقوىٰ والورع والإخلاص، ولذلك لم يدخل علىٰ الشيخ مصطفىٰ السباعي في تربيته وعلمه ما دخل علىٰ غيره من بعض الدعاة.

نعم لم يكن معصومًا رحمه الله لأن المعصومين هم الأنبياء والمرسلون فقط، لكن العلماء المخلصين محفوظون بحفظ الله، وكان الشيخ مصطفىٰ السباعي ممن حفظهم الله من الزيغ وخليط الأفكار.

[جهاده في فلسطين]

وفي خلال نيابته قام الجهاد في فلسطين، وحصل معسكر للإخوان المسلمين للتدريب، وكان الدكتور السباعي يحمل البندقية ويتدرب، وقد زار المعسكر الشيخ حسن البنا وكانت الأعداد من أقطار عديدة، واندفع الشباب من سائر الأقطار للتدريب في المعسكر، وساروا لفلسطين،

وكانت المعارك العظيمة، وبرز الجهاد بأعظم صوره وكان علىٰ رأسهم الدكتور السباعي.

ومن تَلْدَوْ خرج عدد اختير في الأخير منهم اثنان: سليم عبارة، وعزو بكار، وقد جرح سليم عبارة في كتفه ويده، وبقي الخلل في يده بعد خروجه من المستشفىٰ.

وقد دخل السباعي علىٰ المجلس النيابي، ووضع البندقية علىٰ الطاولة، وقال: "اليوم البندقية تتكلم"، وخرج من المجلس إلىٰ فلسطين.

رحمه الله تعالىٰ، لقد كان قدوة حسنة للمجاهدين وللعاملين وللدعاة المخلصين.

[خروجه إلى لبنان]

ولما حصلت الانقلابات العسكرية في سورية، ووصل إلىٰ الحكم أديب الشيشكلي عندها خرج السباعي إلىٰ لبنان، وسلم الجماعة إلىٰ اثنين من حمص عبد المجيد الطرابلسي، وعلي الحسن (شاب فلسطيني كان يدرس في المعهد وكان خطيباً مفوهاً)، ولأنور حمادة من إدلب، ولرشدي المفتي من اللاذقية، ولكاظم نصري من دمشق.

وفي غياب الشيخ مصطفىٰ عن سورية وصلها من مصر رجل باسم عبد العزيز سالم، واسمه الحقيقي "نجيب جويفل"، وادعىٰ أنه محكوم بالإعدام، وأنه فار من حكم جمال عبد الناصر، فقبلته الجماعة، وساروا

معه بتخطيط رهيب (محاضرات، إحياء ليالي، الرياضة: حي قيوم بدل: واحد اثنين)، وكان ينشر أكاذيب علىٰ الدكتور السباعي، وينقل مفتريات عليه مما تقشعر له الأبدان، فهيأ جواً للانشقاق علىٰ الدكتور السباعي، في كل من دمشق وحمص، وإدلب، واللاذقية، أما حلب وحماة فلم يدخلهما الانشقاق أول الأمر، لأنه لم يكن لهما ممثل في القيادة التي خلفها الدكتور السباعي.

حصل هذا الانشقاق ونحن لا نعلم عنه شيئًا، حتىٰ رجع الدكتور السباعي من لبنان، وقد زارني الأخ الأستاذ محمد طيب خوجة رحمه الله، وأبلغني بذلك وبما ينشرون من أكاذيب، ونزلت مع بعض أخواني إلىٰ حمص (الشيخ حسن المصطفىٰ، والشيخ أحمد العبد الله)، وسمعنا منهم كلامًا لم نسمعه من أعداء الإسلام، وفي هذا الجو العصيب من الأكاذيب والترهات، زار سورية الشيخ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين بعد حسن البنا، ومر بحمص، وألقىٰ محاضرة قيمة في جامع السلطان، بحضور الشيخ محمد الحامد رحمه الله، واستمع الناس لتلك المحاضرة بإصغاء وخشوع، حيث ملئت الشوارع والأسطحة والساحات حول المسجد وداخله، وكانت له في جلسته قبل المحاضرة كلمة في الانشقاق منها: "لا تتعبوا، القضية قضية قلوب وصدق وإيمان".

فبدأنا العمل من جديد، وتلاشىٰ الانشقاق وعناصره، ورجع من رجع إلىٰ الصواب، وتولىٰ من تولىٰ وأعرض من أعرض، فاتخذ الناصريةَ ملاذاً وحزبـًا أمثالُ عبد المجيد الطرابلسي، وأنور حمادة، وكاظم نصري، وعلي الحسن، ورشدي المفتي (غالب الظن بالنسبة للأخير).

ثالثاً: جهاده السياسي:

لقد حدد الدكتور السباعي في كتابه: (دروس في دعوة الإخوان المسلمين) الأهداف والمهمات في ميادين الإصلاح، حيث نادت جماعة الإخوان المسلمين في سورية بقيادة الدكتور السباعي بالإصلاح السياسي، والكفاح الوطني، وإزالة آثار الاستعمار، ورفع المظالم عن العمال والفلاحين، كما نادت بإنشاء المدارس والمعاهد، والأندية الرياضية، والمخيمات الكشفية، ومراكز الفتوة في مختلف محافظات القطر.

وأنشؤوا لجانـًا للإصلاح بين الناس، ومراكز لتقديم الخدمات الصحية والاجتماعية والخيرية.

ومن هنا نرىٰ أن الشيخ السباعي مع إخوانه شاركوا في حرب فلسطين مع إخوانهم المصريين والأردنيين والفلسطينيين، وشاركوا في معركة القدس بشكل خاص ومعارك فلسطين بشكل عام، وأبلوا في ذلك بلاءً حسنـًا.

ولكن المؤامرة التي دبرت، والتمثيلية التي حصلت بين الدول العربية، جردت المجاهدين الفلسطينيين وغيرهم من أسلحتهم، وسلمت البلاد لليهود لقمة سائغة، واعتقل مجاهدو الإخوان، وزج بهم في المعتقلات، ونقلوا إلىٰ سجون مصر، وقامت حكومة النقراشي بحل جماعة الإخوان المسلمين في مصر.

ورجع السباعي غاضباً يفضح خطط المتآمرين، ويكشف عمالة الأنظمة، وينتقل في المحافظات السورية يشرح ما جرىٰ من مهازل القادة العسكريين، ويكشف قضية الأسلحة الفاسدة التي زوّد بها الجيش المصري، ويفضح تصريحات القادة العراقيين عن عدم وجود أوامر لضرب اليهود، يذكر هذا وغيره من المآسي في كتابه (الإخوان في حرب فلسطين).

كما ذكر في كتابه (دروس في دعوة الإخوان المسلمين) أن كل نظام صالح لا يمكن أن ينتفع به ما لم تؤيده حكومة حرة قوية صالحة، ومن أجل ذلك نادوا بتوحيد البلاد العربية، والتعاون مع البلاد الإسلامية والصديقة، وخاضوا معارك الانتخابات ونجحوا فيها، وأثبتوا وجودهم، وطالبوا الحكومة السورية بالسماح لهم بمشاركة إخوانهم المصريين لمحاربة الإنكليز في قناة السويس، ولكن رفض طلبهم، ولوحق السباعي،

وحلت الجماعة من قبل أديب الشيشكلي، وفصل من الجامعة، ثم أفرج عنه بعد الاعتقال، وأبعد إلىٰ لبنان.

وفي عام ١٩٥٣م عقد المؤتمر الإسلامي في القدس، وحضره ممثلو الإخوان من جميع الأقطار، وفي هذا العام زار مصر، والتقىٰ مع إخوانه القرضاوي والعسال والدمرداش.

كما حضر المؤتمر الإسلامي المسيحي الذي عقد في حمدون بلبنان عام ١٩٥٤م، وشارك في الرد علىٰ أعداء الإسلام.

وفي ١٩٥٥م أسس مع إخوانه مجلة (الشباب) الأسبوعية، واستمرت في الصدور حتىٰ قيام الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨م.

كما حصل في نفس العام ١٩٥٥م علىٰ ترخيص إصدار مجلة (المسلمون) الشهرية، بعد توقفها في مصر، وظلت كذلك حتىٰ عام ١٩٥٨م تصدر في دمشق، ثم انتقلت إلىٰ صاحبها الدكتور سعيد رمضان في جنيف بسويسرا، فأصدر السباعي بدلها مجلة (حضارة الإسلام) الشهرية، وظل قائمـًا عليها حتىٰ وفاته، رحمه الله.

كما أوفدته الجامعة السورية إلىٰ ديار الغرب لزيارة الجامعات الغربية، والاطلاع علىٰ مناهج الدراسات الإسلامية فيها، فزار إيطاليا وبريطانيا وإيرلندا وبلجيكا وهولندا والدنمارك والنرويج والسويد وفنلندا وألمانيا

والنمسا وسويسرا وفرنسا، واجتمع بالمستشرقين، وناقشهم فيما كتبوه عن الإسلام، وكشف لهم أخطاءهم العلمية والتاريخية، كان ذلك في عام ١٩٥٦م.

أما في عام ١٩٥٧م فقد ذهب مع عمداء الكليات في الجامعة السورية إلىٰ روسيا بدعوة من جامعة موسكو، وزار خلالها معظم الجامعات الروسية، والتقىٰ بأساتذة الدراسات الشرقية والتاريخية والاجتماعية، وناقشهم، وأبطل مزاعمهم وفند مقولاتهم عن الإسلام والمسلمين.

حل الجماعة:

ولما اقتنع العلماء والإخوان المسلمون، والصف المتدين بعهد جمال عبد الناصر لرئيس رابطة العلماء بدمشق السيد مكي الكتاني، واقتنع الدكتور مصطفىٰ السباعي أيضًا، وطلب جمال عبد الناصر حل الأحزاب، وقدم براهين بأن الإعدامات التي جرت قام بها جمال سالم، وصلاح سالم.

حل الشيخ مصطفىٰ السباعي رحمه الله تعالىٰ جماعة الإخوان المسلمين، ولكن بقيت الصلات قائمة، والأرواح متعانقة، وبقي الأستاذ عصام مع إخوانه دون أن يعلن.

ولما تبين أن الوحدة كانت ضد الإسلام، وضد مصلحة الشعب، عاد الإخوان إلىٰ التنظيم، وكنا نلتقي: أنا والأستاذ عصام عطار، وأمين يكن،

وزهير شاويش، ونتدارس الأمور، وقد رتب أمين يكن الانشقاق، فانشقت حلب وحماة بموافقة الشيخ عبد الفتاح أبو زاهد والشيخ سعيد حوىٰ، ولم يبق إلا قسم صغير من حلب، وانقسمت حمص قسمين: محمد علي مشعل وعبد الكافي الأبرش ومن معهما، وحسان الوفائي وحسان ترجمان ومن معهما، وفوزي المنذري، واللاذقية عدنان سعيد وإدلب، وفي أيام حكومة التجمع حصل شاغر في دمشق وشاغر في حمص.

ترشح الدكتور السباعي بدمشق ضد رياض المالكي[1]، وترشح سعيد الملوحي ضد كمال كلاليب، زورت الانتخابات ونجح البعثي عدنان المالكي، فأصابت الدكتور مصطفىٰ السباعي صدمة، فأصابه شلل، ولكنه بقي علىٰ حاله يلقي المحاضرات الخاصة والعامة، وعندما نزوره نجد همته علىٰ حالها، وكنا نرجع إليه في الشؤون المهمة، وبقي مراقباً عاماً، حتىٰ أعلن تنازله للأستاذ عصام عطار، وقال: ينوب عني في كل شيء.

(٨) قتل عدنان المالكي شخص من القوميين السوريين، لأنه رآه مع أخته، فسمي شهيداً، وترشح رياض المالكي أخو الشهيد عدنان المالكي ضد الدكتور السباعي.

ولما دخلنا المجلس النيابي كنا نرجع إليه، ولما شكانا الدكتور الدواليبي له، والشيخ مصطفىٰ الزرقا، من أجل موقفنا من الفائدة، طلبنا، فجئنا إليه وشرحنا له الموضوع، فكان معنا.

وموضوع الفائدة: أن المجلس قرر التعويض علىٰ أصحاب الأراضي التي استولي عليها بقانون الإصلاح الزراعي الذي أصدره جمال عبد الناصر (عامله الله بما يستحق)، والثمن علىٰ مدة أربعين سنة، مع فائدة، فنحن طلبنا في المجلس النيابي إلغاء الفائدة أينما كانت في القانون، فاعترض علىٰ ذلك الدكتور الدواليبي، وطلب تأجيل الجلسة عن طريق وزير الداخلية أحمد قنبر، وأجلت لليوم الثاني، وحضر الشيخ مصطفىٰ الزرقا رئيس كتلتنا، وتكلم ضدنا، وعارضه الأستاذ زهير شاويش، وكان الكلام شديداً، وتكلم الشيخ عبد الرؤوف أبو طوق حتىٰ يخفف فصدمه الأستاذ زهير.

وكانت هذه الجلسة نهاية هيبتنا، فضحك منا خالد العظم، وصبري العسلي، وأكرم الحوراني، وصلاح البيطار، وكان السباعي رحمه الله تعالىٰ الفيصل في كل الأمور، مادحه وذامُّه في الحق سواء، لا يخاف في الله لومة لائم، مع الحكمة والتزام خط الدعوة.

وكان العلماء يذكرونه عندما تشتد عليهم الأمور، وقد سمعت من الشيخ أحمد الدقر وقد غضب من أمر قال: أين الدكتور السباعي؟ إن كرسي الدكتور السباعي فارغ ولم يسده أحد.

وعندما توفي السباعي كانت جنازته كبيرة جداً، فامتلأت الشوارع، ولما وصلنا إلىٰ المقبرة كان الاجتماع التاريخي، والمحاضرات التاريخية، بذكر محاسنه وجهاده.

رابعاً: مؤلفاته:

كان له باع طويل في التأليف، فهو من العلماء المحققين الذين استوعبوا الفقه الإسلامي، ودرسوا أصوله المعتمدة، وحكموها في قضايا العصر المستجدة، ومن أهم مؤلفاته:

١. شرح قانون الأحوال الشخصية (ثلاثة أجزاء).
٢. من روائع حضارتنا.
٣. المرأة بين الفقه والقانون.
٤. عظماؤنا في التاريخ.
٥. القلائد من فرائد الفوائد.
٦. دروس في دعوة الإخوان المسلمين.
٧. السنة ومكانتها في التشريع.
٨. هكذا علمتني الحياة.

٩. اشتراكية الإسلام.

١٠. أخلاقنا الاجتماعية.

١١. أحكام الإسلام وفلسفته.

١٢. الدين والدولة في الإسلام.

١٣. نظام السلم والحرب في الإسلام.

١٤. هذا هو الإسلام.

١٥. السيرة النبوية دروس وعبر.

١٦. الاستشراق والمستشرقون.

١٧. المرونة والتطور في التشريع الإسلامي.

١٨. منهجنا في الإصلاح.

١٩. العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الإسلام.

وغيرها من الرسائل والمحاضرات كثير.

خامساً رحلاته إلى الحج:

كانت رحلته الأولىٰ ١٩٤٤م، ورحلته الثانية عام ١٩٥١م، ورحلته الثالثة ١٩٥٥م، مع أساتذة وطلاب الجامعة السورية، أما رحلته الرابعة والأخيرة فقد كانت عام ١٩٦٤م، وكان أثناءها يعاني من المرض العضال، والآلام المبرحة التي لم تكن تفارقه.

وهكذا كانت حياة هذا العالم الداعية كلها بطولة وجهاد وعطاء، ظل هكذا حتىٰ أدركته الوفاة في يوم السبت (٢٧/ ٥/ ١٣٨٤ هـ الموافق ٣/ ١٠/ ١٩٦٤م).

انتقل إلىٰ جوار ربه بعد حياة حافلة، وجهاد متواصل، وصلّي عليه بالجامع الأموي بدمشق، وتوالىٰ الخطباء علىٰ تأبينه بكلمات مؤثرة بليغة، تغمده الله برحمته، وألحقه في الصالحين.

الشيخ عبد العزيز عيون السود رَحِمَهُ اللَّهُ

(١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م) - (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)

بقلم الشيخ محمد علي مشعل رَحِمَهُ اللَّهُ

ربيع الأول ١٣٩٩هـ - شباط/ فبراير ١٩٧٩م

رجل فقدناه

الشيخ عبد العزيز عيون السود رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م) - (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإن المصائب نوعان: دنيوية ودينية، فالمصائب الدنيوية قد تكون كفارة للسيئات وقد تكون علواً للدرجات، وقد تكون كفارة للسيئات وعلواً الدرجات معـًا، وهو الغالب. ومحو السيئات هو علو الدرجات، ولا يكمل إيمان المرء حتىٰ يعد البلاء نعمة، وفي الحديث (لا يصيب المؤمن ما يؤذيه إلا كفر الله عنه من خطاياه)، وفي الحديث أيضـًا (عجبـًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) رواه مسلم.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ سورة البقرة.

والمؤمن يرغب بثواب المصيبة إذا أصيب بها أكثر من لو بقيت له، وما أحلىٰ تلك الكلمة: "حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها"، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ سورة الزمر.

والمصائب الدينية هي المصائب الحقيقية، فمن أصيب بدينه أو بدين أهل بيته فهو المصاب وهذه المصائب متفاوتة، أعلاها وأشدها المصيبة في العقيدة، ويليها المصيبة في العبادة، والمصيبة في المعاملة في الأخلاق، وشر المصائب الجهل.

وقد كان صحابة النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يعزون من فاتته صلاة بجماعة سبعة أيام، ومن فاتته تكبيرة الإحرام وراء الإمام ثلاثة أيام وصيغة التعزية معروفة ومشهورة: "ليس المصاب من فقد الأحباب إنما المصاب من حرم الثواب" وقد قال أحد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: "ما فاتت واحداً صلاة بجماعة إلا بذنب ارتكبه". فاعتبر فوات الطاعة عقوبة علىٰ فعل معصية، وهذه أشد العقوبات.

وموت العالم مصيبة دنيوية ومصيبة دينية في نفس الوقت. والمصيبة في العالم خاصة وعامة. وقد قال من قال: موت العالِم موت العالَم، وانحراف العالِم عن الصراط المستقيم وزلته زلة عالَم ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ سورة الجاثية، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ

ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ سورة الأعراف.

والنبي المعظم صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم فيما رواه ابن لال عن جابر ﷺ مرفوعاً ورواه البزاز عن السيدة عائشة ﵂ يقول: (موت العالِم ثلمة في الإسلام لا تسد ما اختلف الليل والنهار).

وروىٰ الطبراني عن أبي الدرداء ﷺ، ورفعه: (موت العالِم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد، وموت قبيلة بأسرها أيسر من موت عالِم، وهو نجم طمس).

ولقد ثبت في صحيح الحاكم عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَا﴾[سورة الرعد: ٤١] قال: موت علمائها وفقهائها.

وفي صباح السبت ١٣ صفر الخير ١٣٩٩هـ و١٣ كانون الثاني ١٩٧٩م أصيبت حمص مدينة ابن الوليد وسوريا والعالم الإسلامي بموت عالم رباني.

هو الشيخ عبد العزيز عيون السود عن عمر يناهز الستين. قضىٰ هذا العمر في العلم والتعليم والدرس والتدريس، فهو قدوة للعاملين

المخلصين ومنار الأجيال في طريق الحق المبين. والعلماء العاملون يحيون بعد موتهم أو استشهادهم بذكرهم ومآثرهم وآثارهم.

نشأته:

ولد الشيخ عبد العزيز عيون السود في حمص عام ١٩١٦م في أسرة عريقة في العلم والفضل، فآل عيون السود معرفون بحمص بالتقىٰ والعلم؛ فجده الشيخ عبد الغني عيون السود من العلماء. وعمه الشيخ عبد الغفار عيون السود شيخ مشايخ حمص المشهورين، وهو علم من أعلام الفقه دان له علماء عصره وفقهاء زمانه، وهو علم من أعلام تفسير القرآن والحديث، وكتابه «الرياض النضرة في تفسير سورتي الفاتحة والبقرة» زاد العلماء والوعاظ، وكنز الموجهين والمربين؛ يذكر فيه أصح التفاسير عن علم وفهم ورواية ودراية، ويستشهد بالأحاديث ويخرجها ويشرحها، ويذكر آراء الفقهاء فيها بعيداً عن التطويل الممل والاختصار المخل.

وقد تلقىٰ عن الشيخ عبد الغفار والشيخ عبد القادر الخوجة والشيخ طاهر الرئيس والشيخ عبد الجليل مراد والشيخ محمد علي عيون السود وغيرهم، ووالده: الشيخ محمد علي عيون السود عالم عظيم وهو أستاذ أصول الفقه والفقه.

وقد تلقىٰ الشيخ عبد العزيز عيون السود العلم في دار العلوم الشرعية التابعة للأوقاف عن العلماء الفضلاء الشيخ زاهد الأتاسي، والشيخ أنيس

كلاليب، والشيخ محمد الياسين، والشيخ أحمد صافي، والشيخ محمد علي عيون السود والده، وتخرج عام ١٩٣٦م.

علومه:

أصابه مرض قطعه عن الناس فحفظ القرآن الكريم، وكان يطبق العلم بالعمل، وكان يتمثل به الإسلام إيمانـًا وعبادة ومعاملة وخلقـًا وسلوكـًا، فأعطاه الله علمـًا يزيد علىٰ المكتسب، ومنحه قلبـًا نيراً وفيضـًا غزيراً، وهذا أمر يجب علىٰ طالب العلم أن لا ينساه؛ فمن عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[سورة البقرة:٢٨٢]، (لو خفتم الله حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه).

كان كثير التلاوة للقرآن وفي الصلاة، وكان يديم التهجد قبل الفجر، ويحيي ما بين المغرب والعشاء، ويحيىٰ ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، ويحرص علىٰ تطبيق السنة في عبادته وأكله وشربه ونومه وكل تصرفاته، ويحرص علىٰ صلاة الضحىٰ، وكان كثير الصلاة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وكثير الزيارة للصالحين طمعـًا بالحصول علىٰ السعادة عملاً بقوله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم (هم القوم لا يشقىٰ جليسهم).

وكان يرىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم في المنام في أكثر الليالي، وكان وقوراً مهاباً من رآه لأول وهلة هابه، ومن خالطه عن قرب أحبه.

علوم القرآن:

تلقىٰ علم القراءات السبع بمضمن الشاطبية عن الشيخ سليمان الفارس كوري المصري، ثم حفظ الدرة والطيبة، ونزل إلىٰ دمشق فقرأ علىٰ الشيخ محمد سليم الحلواني شيخ القراء في دمشق وقتئذ، وأخذ عنه القراءات العشر بمضمن الشاطبية والدرة.

وفي الوقت نفسه كان يذهب الىٰ قرية عربين (قرية قرب دمشق) ليأخذ عن الشيخ عبد القادر قويدر العربيني القراءات العشر بمضمن الطيبة.

ثم رحل الىٰ الديار الحجازية حاجاً في خدمة والده وحفظ (الفوائد المعتبرة في القراءات الأربع الزائدة علىٰ العشرة).

وقرأ في مكة المكرمة بعد الحج علىٰ الشيخ أحمد حامد التيجي شيخ القراء في الديار الحجازية القراءات الأربع عشرة بمضمن الشاطبية والدرة والطيبة والفوائد المعتبرة.

ثم استأذن والده للذهاب الىٰ مصر وتلقىٰ القراءات عن شيخ عموم المقارئ المصرية الشيخ علي محمد الضباع فأذن له ورحل إليه، وقرأ القراءات الأربع عشرة من طريق الشاطبية والدرة والطيبة والفوائد المعتبرة. كما وتلقىٰ عنه المقدمة في التجويد لابن الجزري. ومنظومتي

(عقيلة أتراب القصائد) و (ناظمة الزهر) كلاهما للإمام الشاطبي في علم الرسم والضبط والآي. وقد أجازه كل منهم وهم علماء القراءات في العالم الإسلامي.

وبينه وبين النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ستة وعشرون رجلاً كل منهم مشهور بشيخ قراء زمانه مشهود له بالتحقيق والتدقيق. وهذا إسناد لا يوجد اليوم في الدنيا أعلىٰ منه ولا أقرب منه إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم. وهذا الإسناد مفخرة الأمة الإسلامية والميزة التي فضلها الله بها علىٰ سائر الأمم، والخصوصية التي خصها الله بها.

وكان الشيخ رحمه الله تعالىٰ مع ذلك كله عالمـًا بالتفسير ومحققـًا، وله تحقيقات وأبحاث لها شأنها وله استنباطات خاصة في الفتن والملاحم وعلامات الساعة الصغرىٰ والكبرىٰ عسىٰ أن تنشر في مدينة حمص بعد نشر هذه الإجازات. وقد أصبح شيخ القراءات في العالم الإسلامي كله دون منازع، وعرف فضله شيوخ القراءات فاعترفوا له بالسبق رواية ودراية وبالنطق.

وافتتح دار الاقراء بحمص، وأخذ عنه الكثيرون علوم التجويد ومخارج الحروف والقراءات والرسم والآي، وأجاز بالقراءات السبع عن طريق الشاطبية والقراءات الثلاث فوق السبع من طريق الدرة الشيخ عبد

الغفار الدروبي، وقد تلقىٰ عنه الشيخ سعيد العبد الله شيخ قراء حماه الذي يقوم علىٰ دار الإقراء بحماه الآن في جامع الدلوك القراءات الثلاث فوق السبع بمضمن الدرة والقراءات السبع بمضمن الشاطبية عن طريقه وأجازه. وقد أجاز المحدث النعيمي الجزائري الذي وفد خصيصاً من الجزائر للقراءة علىٰ الشيخ عبد العزيز، وتلقىٰ عنه القراءات الأربع عشرة بمضمن الشاطبية والدرة والطيبة والفوائد المعتبرة وقرأ عليه الشيخ محي الدين الكردي ختمة كاملة أورش من طريق الأصبهاني من طريق الطيبة وأجازه. وقرأ عليه آخرون، وأجازهم.

علوم الحديث:

له باع في علم المصطلح وفي قواعد الجرح والتعديل وحفظ الكتب الستة والمسلسلات، وأجيز من قبل النعيمي الجزائري المحدث. وعنده عدة إجازات في رواية بعض الأحاديث.

علم أصول الفقه والفقه: تلقىٰ هذا العلم من منابعه الأصيلة بالسند المتصل بأبي حنيفة النعمان حيث عمه الشيخ عبد الغفار ووالده الشيخ محمد علي وشيخه الشيخ عبد القادر خوجة فقهاء بالتلقي، فهم في أعلىٰ مرتبة دراية ورواية، وكان الشيخ عبد العزيز يشبههم إلىٰ حد بعيد حتىٰ في لباسه والهيئة والأسلوب والخلق والسلوك والتحقيق والتدقيق. وكان متمكناً يرجع إليه في الفتوىٰ وحل المعضلات، وقد أصبح من أعلىٰ

المراجع في حمص. في هذا الميدان يجله علماء حمص، ويشار إليه بالبنان في سوريا والعالم الإسلامي كله، وله اطلاع واسع لا ينكر علىٰ علوم اللغة العربية، ومحفوظاته. ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر في العلوم كالشاطبية والألفية..

علم التوحيد:

كان دقيق التعبير عن عقيدة السلف يميل إلىٰ الأخذ دوماً بطريق الفطرة عن الكتاب والسنة بعيداً عن التعقيد، ويكره إدخال العامة في أبحاث المتكلمين.

تحفظه في الفتوى:

كان متحفظاً كثيراً، وإذا سأله طالب علم مسألة أرشده إلىٰ مطالعتها في كتاب، وكان قوي الحجة حاضر البديهة سريع الاجابة في الدليل، حنفي المذهب عليماً بمذهبه أدلة وأحكاماً، مطلعاً علىٰ بقية المذاهب ويحب الرجوع إلىٰ ذوي الاختصاص.

أخلاقه:

جمع مع العلم التواضع للعلماء والمعلمين، والبساطة في المأكل والمشرب والمجلس، كان حسن المعاشرة حسن الصحبة يهتم بجلسائه ومرافقيه وتلاميذه ويعتني بهم ويحسن رعايتهم.

كان باراً بوالديه وأعمامه محترماً موقراً، حريصاً علىٰ خدمتهم والرفق بهم، وعلىٰ الرغم من مرضه فقد كان بنفسه مما يغرس في قلب من

يراه بر الوالدين عمليـًا، وكان يكثر من زيارتهم بعد الممات ويذكرهم دومـًا مع الاحترام والتوقير. وكان باراً بشيوخه وحسن الخدمة لعلماء عصره يحرص علىٰ رضاهم ويزور من يظهر فيه الصلاح والخير. وكان قليل المزاح وإذا مزح لا يقول إلا حقـًا. وكان كثير الذكر كثير الصلاة يحافظ علىٰ الصلوات في أوقاتها، ولا يصلىٰ إلا جماعة. وقد نقل عنه الثقات أنه لم يصل منفرداً البتة لا في حضر ولا سفر!

وفي ليلة وفاته أتم صلاته قبل النوم ونام، إلا أنه أحس من حوله بتعبه وقام للتهجد كعادته وتوضأ ثم بدأ الصلاة ومات وهو في الصلاة في الساعة الرابعة قبل الفجر، وهذه منحة عظيمة.

وإنا لنرجو الله سبحانه أن يجمعنا به في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين مع العلماء العاملين

أيها الإخوة المؤمنون في حمص والعالم الإسلامي كله: فقدنا عالمـًا مرشداً مقرئـًا فقيهـًا محدثـًا مربيـًا، ولنا في النخبة من علماء حمص وفي النخبة من علماء سوريا وفي النخبة من طلاب العلم وفي النخبة من تلاميذ الشيخ عبد العزيز وفي أولاده خير عزاء إن شاء الله تعالىٰ.

والأمل أن تشحذ العزائم من جديد لحمل الراية والسير في طريق الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وأن تبقىٰ دار الاقراء في حمص مركز

إشعاع، وأن تفتح في المساجد دور الإقراء ودور العلم في كل مكان من العالم الإسلامي، ويكون ذلك إحياء لذكرىٰ عالمنا الجليل وشيخنا العظيم وستظل سيرة هذا العالِم وعلم هذا العالم شعلة هدىٰ تضيء للأجيال الطريق.

وإذا فقدنا عالماً فسيكون بعده علماء، وإذا غربت شمس طلعت شموس ولن نجزع لأمر الله أن العين لتدمع وأن القلب ليحزن ولا نقول ما يغضب الرب.

ولنا في رسول الله ﷺ أكبر عزاء، وقد وقف أبو بكر الصديق الخليفة الأول والمؤمن الأول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول:

«أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وأن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً فان الله اختار لنبيه صلىٰ الله تعالىٰ وآله وسلم ما عنده علىٰ ما عندكم، وقبضه الىٰ ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم، فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾[سورة النساء:١٣٥] ولا يشغلكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينه، وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه، ولا تستنظروه فيلحق بكم فيفتنكم».

ولا يجوز أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان أن تشغلنا مصيبتنا عن أمر الدين، ويجب أن لا يزيدنا فقد العلماء إلا يقظة لنتدارك الفائت ونتابع التحصيل ونغتنم الوقت فنستفيد من علماء عصرنا، فالمحروم من حُرم من خير أهل زمانه، إن في الله خلفـًا عن كل أحد ودركـًا لكل رغبة، ومجازاً من كل مخافة، فالله أرجو، وبه ثقوا.

إن في الله عزاء عن كل مصيبة وعوضـًا عن كل رغبة، فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

***